جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : لسانيات عربية

إعداد الطالب:
سوسن كلفالي مروة بن جاب الله

يوم:15/09/2020

دلالة اللفظ على المعنى في البلاغة العربية مقاربة تداولية " سر الفصاحة " _ أنموذجا _

لجنة المناقشة:

لهويمل باديس	أ. مح أ	بسكرة	مشرفا
ملاوي صلاح الدين	أ. د.	بسكرة	رئيسا
زروقي أسماء	أ. مح ب	بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ...يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾

المجادلة: ١١

شكر وعرفان

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم »:

" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

(صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ونشهد أنّ سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم.

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع نتقدم بجزيل الشكر إلى الوالدين العزيزين الذين أعانونا وشجعونا على الاستمرار في مسيرة العلم والنجاح وإكمال الدراسة الجامعية والبحث، كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والاحترام والتقدير للأستاذ المشرف **" لهويمل باديس "** الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة وكانت لنصائحه وتوجيهاته وعونه الأثر البالغ في إنجازها نسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته، وبالمثل أيضا كل من ساعدنا على إتمام هذه الدراسة وعلى ما قدموه لنا من تعاون صادق وأخص بالذكر كل أساتذة قسم الآداب واللغة العربية بجامعة بسكرة.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين جاهدوا في قراءة هذه المذكرة من أجل تقويمها وتثمينها.

الطالبتان: كلفالي سوسن/ بن جاب الله مروة

مقدّمة

الحَمْدُ لله الَّذِي عَلاَ بِحَولِه، وَدَنَا بِطَولِهْ، مَانِحِ كُلِ غَنِيمَة وَ فَضْلٍ، وَ كَاشِفِ كُلِ عَظِيمَةٍ وَأَزَلٍ. أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَاؤْمِنُ بِهِ أَوَلاً بَادِيًا وَأَسْتَشْهِدُهُ قَرِيبًا هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا، وَأَتَوَكَلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا. وبعد

تعدّ اللغة وسيلة من وسائل التواصل، بل أهمّها على الإطلاق، وهي ذات أوجه دلالية مختلفة، وهذا راجع لأساليب النظم اللغوي المخصوص الذي يتّبعه المتكلم، فلكلٍ أسلوبٌ وكيفية مخصوصة، واللّغة بعدِّها ظاهرة اجتماعيّة وظيفتها الأساس تحقيق التّواصل بين النّاس (التّبليغ)، أسهم بدراستها علوم عديدة لعل أهمها البلاغة في معالجتها فنون القول ضمن علومها الثلاث، واللّسانيات التداولية حديثا بصفتها تدرس اللغة في سياقات التواصل.

فاللّسانيات التّداولية تخصّص معرفي منبثق عن تيّار الفلسفة التّحليلية يركز على دراسة اللغة أثناء الاستعمال في المقامات المختلفة، وقد مثلت هاته النظرية الأكثر رواجاً في حقول الدّرس اللساني الحديث و المعاصر، بهدف دراسة المعنى و ضبطه في سياقه الاستعمالي، وكلاهما البلاغة والتداولية يبحث في العلاقات القائمة بين المتكلم والسامع والمقام وكيفية التعبير باللفظ على المعنى.

فآثرنا تطبيق التداولية على البلاغة العربية من خلال مبحث مهم فيها وهو دلالة اللفظ على المعنى، واخترنا كتاب "سر الفصاحة "لابن سنان الخفاجي مدونة لذلك.

وكتاب "سر الفصاحة" يُعدُّ نبْعًا ثريا ورافدًا غزيرًا من روافد العربية الشريفة، فهو كتاب بلاغي يمتد إلى القرن الخامس الهجري، استقى فيه مؤلفه أفكارا تتحدّد بموجبها معايير العلم الصحيحة، وتتجلّى فيه أسراره، وهو الأمر الذي دفعنا إلى تقصي القضايا البيانية في هذا الكتاب. ويزيد على هذا الدافع أسباب عديدة تقف وراء اختيارنا لهذا الموضوع أولها السبب العلمي؛ ويتمثل في قلّة الأبحاث المعاصرة التي خصّت كتاب "سر الفصاحة" بالدراسة خاصة ضمن مجال العلوم اللسانية، وثانيها هو السبب الذاتي فيتمثل في ميل النفس أكثر لدراسة المدونات التراثية القديمة التي تغذي الفكر كثيرا وتنميه، عدا ذلك أنّ هذا المؤلَف قد ظهر على الساحة الأدبية في فترة تشهد زخما من الكتب و المؤلفات في المجال البلاغي، كما يعتبر هذا الكتاب ملخصا لجملة أقوال صاحبه فهو المُؤَلَّف الوحيد له، و ذلك ثالث أسباب الاختيار.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يستقرئ قضايا أحد كتب الموروث وفق رؤية حداثية معاصرة تستقصي أبعاد هذه الدراسة دمجا بين الطرح العربي، والدرس اللساني الحديث عن طريق إسقاط بعض الظواهر اللغوية وبيان دورها داخل الخطاب.

ونحسب أن هذه الدراسة ستسهم في قراءة هذا الكتاب، والكشف عن الجوانب التداولية فيه انطلاقا من محاولة الإجابة على السؤال الذي يعتري جوانب هذا الموضوع، وهو بحث مظاهر التداولية في قضايا البيان، في أبواب كتاب "سر الفصاحة " لذلك فإنّ الإشكال العام لهذه الدّراسة هو:

ـ ما الذي عاجه ابن سنان في باب دلالة اللفظ على المعنى وإلى أيّ مدى يمكن إبراز أبعاده ومظاهره الدلالية والتداولية؟

والتي تندرج تحته مجموعة من الإشكالات الأخرى من بينها:

1. **أين تكمن أهم الظواهر البيانية في فصول الكتاب؟**
2. **إلى أيّ مدى يمكن إستنطاق القضايا البيانية في كتاب " سر الفصاحة "؟**
3. **هل يمكن النظر في قضايا الكتاب من زاوية دلالية تداولية؟**

وقد سعينا للإجابة عن هذه الإشكالات المعرفية إلى اعتماد المنهج الوصفي / التحليلي في الدراسة والتحليل والمنهج التّداولي الذي رأيناه كفيلا بضبط عناصر البحث وإخراجها في صورة موضوعية مناسبة، وكذا المنهج التاريخي في ضبط نشأة البلاغة واللّسانيات التّداولية بمدخل الموضوع.

وفي محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات جاء البحث موسوما ب: **" دلالة اللفظ على المعنى في البلاغة العربية مقاربة تداولية " سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي – أنموذجا–** وهو العنوان الذي نراه مناسبا لمقاربة هذه الظاهرة من ناحية دلالية تداولية.

وقد ابتدأ هذا الموضوع بمقدمة تلاها مدخل وفصلين وذُيل بخاتمة.

فأما المدخل فعنون **" ضبط مصطلحيٌّ البلاغة العربية واللّسانيات التداولية "**، وقسّم إلى عنصرين اثنين: البلاغة العربية واللّسانيات التّداولية.

وأما الفصل الأول فعنون " **بالدلالة والمعنى في التراث البلاغي** " ابتدأ بتمهيد وقُسم إلى ثلاث مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى ماهية الدلالة والبيان في البلاغة العربية، وفيها: أولا الدلالة في البلاغة العربية، نشأة وتعريف. وثانيا إضاءات حول مفهوم البيان في البيئة الفكرية العربية القديمة، والمبحث الثاني بعنوان كيف تناول البلاغيون العرب المفاهيم الدلالية وفيه يندرج عنصر: الدلالة عند علماء العرب القدامى، من بينهم: أبو نصر الفرابي (ت339 هـ)، والإمام أبو أحمد الغزالي (ت505 هـ)، وعبد الرحمن بن خلدون (ت808 هـ)، وأما المبحث الثالث فجاء بعنوان: علم البيان عند ابن سنان الخفاجي، وفيه تعريف البيان لغة واصطلاحا مرفقين بتفسيرين.

ويأتي الفصل الثاني معنونا بـ: **مظاهر التجاوز الدّلالي والتّداولي في قضايا البيان في كتاب " سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي"**

والذي ابتدأ أيضا بتمهيد، وقد تضمن هذا الفصل أربعة مباحث، حيث عُنونَ الأول: بتداولية الحقيقة والمجاز في سر الفصاحة، وتم التطرق فيه إلى نقاط عدّة شكلت الجانب النظري والتطبيقي وهي: كيف يرى ابن سنان الحقيقة والمجاز في البلاغة وما يقاربها من نظرة لسانية تداولية، واستعماله لمصطلحات مهمة، تحمل أبعادًا وظيفية وتداولية كان قد أشار إليها بذكاء، نراها تتحكم في مبدأ الحقيقة والمجاز هي الوضع والمواضعة، والقصد، والفائدة. وأما المبحث الثاني: فبعنوان تداولية التشبيه في سر الفصاحة، وهو الجانب التطبيقي لهذه الظاهرة ، وتم التطرق فيه للتشبيه ومظاهره

والمبادئ المتفرعة عنه والمكملة عنه وهي: تمثيل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس لأجل المبالغة، والتمثيل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس لأجل الإيضاح، والعنصر الثالث؛ التشبيه والتمثيل عند الخفاجي، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان: تداولية الاستعارة عند ابن سنان وتضمن تعريف الاستعارة عنده، وتقسيمه لها من ناحية: الاستعارة القريبة (الحسنة)، والاستعارة المبنية على استعارة أخرى، والاستعارة البعيدة (غير حسنة)، وتناولنا في المبحث الرابع: تداولية الكناية عند ابن سنان، تطرقنا فيه: تعريف الكناية؛ لغة واصطلاحا، وكيف يرى ابن سنان الكناية من الناحية التداولية مع تطبيقات على هذه الظاهرة، ثم تطرقنا الى العنصر الثالث والذي جاء بـ: استقرار مصطلح الكناية عند ابن سنان، ثم نأتي إلى أقسام الكناية عنده وهي: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف.

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وأما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا فنذكر منها على سبيل المثال:

ـ كتاب " سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي مدوّنة الدراسة.

ـ كتاب " دلائل الإعجاز " لعبد القاهر الجرجاني.

ـ كتاب " علم الدلالة " لأحمد مختار عمر.

ـ كتاب " فنون التقعيد والألسنية " ريمون طحان.

ـ كتاب " بنية العقل العربي " لمحمد عابد الجابري ".

ومن الدراسات العلمية السابقة نذكر منها: كتاب " البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني ابن سنان الخفاجي": عبد العاطي غريب علي علاّم، وكتاب "مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسّكاكي" للأستاذ لهويمل باديس، وكتاب " البلاغة والأسلوبية" للأستاذة نور الهدى حسني.

كما نذكر بعض الصعوبات التي رافقت الدراسة:

ـ نظرا لظروف الوباء تم الاقتصار على قضايا البيان في كتاب "سر الفصاحة".

ـ اختلاف المصطلحات المتعلقة بالتداولية لدى الدارسين العرب تبعا لتعدد الترجمات.

ـ قلة الدراسات التي مزجت بين البلاغة والتداولية خاصة في جانب المجاز.

ـ صعوبة البحث في اللّسانيات التداولية كونها نظرية لم تكتمل بناؤها بعد.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نرفع أسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور لهويمل باديس على توجيهاته ونصائحه وتصويبه وملاحظاته القيمة، في سبيل أن تصل هذه الدراسة إلى الصورة المرجوة، فكان لنا نِعم المشرف والناصح، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وختاما نسأل الله سداد الرأي والرؤية، والحمد له وحده أولا وأخيرا.

مـدخـل: ضبط مصطلحيٌّ البلاغة العربية واللّسانيات التّداولية

أولا: البلاغة العربية

ثانيا: قضية اللفظ والمعنى

ثالثا: اللّسانيات التّداولية

البلاغة العربية واللّسانيات التّداولية:

أولا: البلاغة العربية

1. موجز لنشأة البلاغة العربية وتطورها في عهد ابن سنان الخفاجي:

البحث البلاغي لم ينشأ نشأة مستقلة كما نشأت العلوم الأخرى، وإنما توزّعت في مراحله الأولى بيئات علمية متعددة، أسهمت كل منها بنصيب في نموه وتطوره، ولهذا فإن التأريخ لهذه المراحل يستلزم بالضرورة النظر في تراث النحاة والمتكلمين، والأصوليين واللغويين والنقاد والمتأدبين، والكاتبين في معاني القرآن الكريم ووجوه إعجازه، فقد كانوا يوردون أحيانا بعض الألوان البلاغية دون قصد إليها، فيمسونها مسا خفيفا، يشغلهم عن الزيادة عليه الأغراض الأصلية التي يبحثونها.

قطع هذا البحث شوطا طويلا ظهرت فيه ملامح بعض الألوان البلاغية، وتوجهت العناية نحوها مباشرة لدراستها دراسة مستقلة، فوضعت الكتب، وتعددت مناهجها واتجاهاتها، ولكنها في جملتها ترجع إلى مدرستين كبيرتين أولهما: " المدرسة الأدبية "، والأخرى: " المدرسة الكلامية "[1]

قد اشتهر العرب بفصاحة اللّسان، وروعة البيان، وقد بلغوا في ذلك مرتبة رفيعة صورها "القرآن الكريم" في أكثر من موضع حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾

1 عبد العاطي غريب علي علام، **البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي**، دار الجيل، بيروت، ط1 ,1413هـ-1993م، ص15.

[1]، وقوله جل شأنه﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[2]

وكانت لديهم القدرة على تمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبيين ما يجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير.

وقد ظهر أثر الكريم وأحاديث (الرسول صلى الله عليه وسلم) في فصاحة العرب وبلاغتهم حيث كانت آيات القرآن الكريم تتلى أناء الليل وأطراف النهار، وأحاديث (الرسول صلى الله عليه وسلم) تذاع على كل لسان، وتتردد عند كل بيان، أضف إلى ذلك بلاغة الخلفاء الراشدين –رضوان الله عليه أجمعين–[3].

وكان أدباء العصر العباسي يحفظون كلام الحسن وغليان ليبلغوا ما يريدون من المهارة البيانية، وكان "الجاحظ" يشيد ببلاغة واصل مدللا عليها بإسقاط الراء من كلامه للثغة فيها مع ما انتظم له من الطلاوة والجزالة.[4]

ونرى الجاحظ في غير موضع من بيانه يسوق ملاحظات الناس على الخطباء، كما يسوق ملاحظات الخطباء أنفسهم.

---

1 **سورة المنافقون**، الآية04.

2 **سورة البقرة**، الآية 204.

3 ينظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1, ط4, 1975م، ص58.

4 ينظر: **المصدر نفسه**، ص14–15.

والحق أن الملاحظات البيانية كثرت في هذا العصر، ونمى العقل العربي نموا واسعا فكان طبيعيا أن ينمو النظر في بلاغة الكلام، وإن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان.[1]

ولا نكاد نصل إلى العصر العباسي الأول حتى نجد أن الملاحظات البلاغية قد اتسعت نظرًا لتطوّر (النثر والشعر) بسبب تطور الحياة العقلية والحضارية، وظهور طائفتين من المعلمين: عنيت احداهما باللغة والشعر وهي "المدرسة الأدبية" وعنيت الأخرى بالخطابة والمناظرة وأحكام الأدلة ودقة التعبير وروعته وهي "المدرسة الكلامية".[2]

وفي أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي اتسعت الترجمة، وأسست لها دار الحكمة ومن أشهر المترجمين (عبد الله بن المقفع) وكان له منزلة رفيعة في الأساليب البلاغية.[3]

كما أن شعراء العصر العباسي كانوا يلائمون بين الشعر القديم وبين الشعر الجديد الذي يهتم بتصوير حياتهم الشخصية وأهوائهم وميولهم، وقد دفعت هذه الملائمة إلى كثرة الملاحظات البلاغية، فقد وازن الشعراء كثيرا بين معانيهم ومعاني القدماء، وحاولوا أن يثبتوا تفوقهم عليهم، أو على الأقل أنهم يجارونهم في بعض بدائعهم، ولا يتخلفون عنهم.

---

1 عبد العاطي غريب علي علام، **البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي**، ص17.

2 **المرجع نفسه**، ص18.

3 **المرجع نفسه**، ص19.

كما أن علماء اللغة والنحو لهم أثر واضح في البلاغة،[1] وعلى كل حال فإن أكثر أصول البلاغة نبتت من أفكار هؤلاء اللغويين والنحاة، والحق أن أكثر علماء البلاغة وعيا بأهدافها ودقائقها هم الذين تعمقوا في أسرار اللغة ونحوها مثل الإمام عبد القاهر الجرجاني والزمخشري.[2]

ومن المؤلفات البيانية (البيان والتبيين) و(الحيوان) "لأبي عثمان عمر وبن بحر الجاحظ " وكان من رؤساء المعتزلة، وقد كان لكتبه دور كبير في بعث النشاط الأدبي والنقدي وتحديد كثير من مسائل البلاغة، وذلك لأنه أثبت كثيرا من التعليقات والتوضيحات التي قالها معاصروه، ومن سبقهم مما يتصل بأصول الأدب وفروعه، وبذلك ما نهى من الضياع، وحافظ عليها من النسيان.[3]

ثم جاء بعده عبد الله بن المعتز وألف كتابه "**البديع**" جعله فتحا مبينا وقد ضمنه خمسة أبواب: وهي الاستعارة، والتجنيس والمطابقة.[4]

وسار على نهجه قدامة بن جعفر الكاتب وألف كتابه " **نقد الشعر**" اجتمع معه في بعض البحوث، وزاد عليه في بعضها ويعد قدامة من أشهر النقاد العرب الذين أثروا

---

1 عبد العاطي غريب علي علام، **البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي**، ص20.

2 **المرجع نفسه** ، ص23.

3 الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ص83.

4 عبد الله بن المعتز، **البديع**، نشر وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3،1402هـ-1982م، ص58.

حركة النقد الأدبي في اللغة العربية. وكان له تأثير فيمن جاء بعده كأبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي.[1]

2. قضية اللفظ والمعنى في البلاغة العربية:

تعد قضية اللفظ والمعنى واحدة من القضايا الهامة في تاريخ النقد والبلاغة.

1 التعريف بالمصطلحات:

أ. تعريف اللفظ:

* **لغة:** جاء في " الصحاح ": الدلالة العامة للمادة **[لفظ]** وهي المخصصة إذ يكون الملفوظ من الفم كلاما: لفظت بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به، وبعدها يعين المفردة بأنها اللفظ وجمعها الألفاظ.[2]

ـ جاء في" المقاييس": أن مادة(لفظ) تعني أولا الدلالة على الطرح المطلق، ثم هي يغلب عليها أن تكون من الفم ثم يخصص الفعل، فتقول: لفظ الكلام يلفظ لفظا وبعدها يورد واحدا من المشتقات، وما يحتمله من دلالات اللالفظ: فهو الديك لصوته والرحى لطرح الحبوب المطحونة والبحر لإخراجه أشياء كثيرة من جوفه. [3]

---

1 ينظر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، **تحقيق وتعليق عبد المنعم خفاجي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص8.

2 ينظر: الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، 1977م، ص290.

3 ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، طبع مصطفى الحليبي، سوريا، ج4، (د.ط)، 1969م، ص180.

*** اصطلاحا:**

جاء في " **التعريفات** " للشريف الجرجاني: أن اللفظ هو « ما يتلفظ به الانسان أو في حكمه، مهملا كان أو مستعملا » [1]

- ✓ من خلال ما مرّ في بيان اللفظ أنه أيسر شيء للتعبير عما في صدر الانسان من المعاني والأغراض، وتزداد أهميته عندما نتذكر بأن المتكلم بإمكانه أن يستخدم عدة أنواع من التعابير لمطلب واحد أو عدة مطالب في تعبير واحد.

ب. تعريف المعنى:

*** لغة:**

جاء في " **لسان العرب** ": « معنى الفرس ونحوه بمعنى معنا أو معنى، كلاهما: تباعد عادي وفي الحديث: أمعنتم في كذا أي بالغتم. وأمعنوا في البلد العدو وفي الطلب أيّ جدوا وأبعدوا. وأمعن الرجل: هرب وتباعد »[2]

وجاء أيضا في المعجم "**الوسيط**" المعنى « ما يدل عليه اللفظ، جمعه معان والمعاني: ما للإنسان من الصفات المحدودة، يقال: فلان حسنُ المعاني» .[3]

---

1 الشريف علي بن محمد علي الجرجاني الحنفي، **التعريفات**، تح: محمد علي أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص189.

2 ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لفظ)، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص101.

3 مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1425هـ-2004م، ص633.

✓ فمن خلال هذين التعريفين تبين لنا أن المعنى هو الذي يستقر عليه القلب ويطمئن إليه عند إرادة اللفظ.

*** اصطلاحا:**

يعد مفهوم المعنى من المفاهيم الغامضة غير المحددة لدى علماء العرب، فنجدهم يضعونه دون تحديده، ومن بين هؤلاء العلماء "**الجاحظ**" (ت255هـ) الذي وصفه في قوله: « المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة »[1]

أما " **الشريف الجرجاني":** فقد ذكر تعريف للمعاني في قوله: « المعاني هي الصورة الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث أنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوما، ومن حيث أنه مقول في جواب ما هو سميت ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة، ومن امتيازه عن الأغيار سميت هوية »[2].

ومن الغربيين نجد **(لاينز Lyons)** يشير إلى أن المعنى يشمل أمرين:

1 الجاحظ، **البيان والتبيين**، ص75.

2 الشريف الجرجاني، **التعريفات**، ص 184-185.

- ✓ القصد أو المقصود من الوحدة اللغوية وهذا ما يتوقف معرفته على السياق الذي يستعمل فيه، وقد سبق اللغويين العرب في هذه الفكرة عندما عرفوا بأنه القص والمراد.
- ✓ ما يشير إليه اللفظ طبيعة أو عرفا وهو أيضا ما أشار إليه العلماء العرب عندما تحدثوا عن المعنى باعتباره الصورة الذهنية للأشياء الموجودة في العالم الخارجي.[1]

ومن هذه التعريفات الثلاث تتضح لنا ثلاث نقاط:

- ❖ أن المعنى في تعريف " **الجاحظ** " لم يحدّد وبالتالي وصفه فقط بأنه موجود في الذهن حيث لم يفرد له تعريفا خاصا به.
- ❖ في تعريف " **الجرجاني** " للمعاني نلحظ أنه ربط المعنى باللفظ، بمعنى لا وجود للمعنى دون لفظ ولا وجود للفظ دون معنى، فإذا كان المعنى هو الصورة الذهنية فقد وضع بإزائه اللفظ وهو القصد من تلك الصورة.
- ❖ أما فيما يخص(**لاينز Lyons**) فقد أشار إلى أن المعنى يحمل معنيين القصد والمقصود من الوحدة اللغوية، وما يشير إليه اللفظ طبيعة أو عرفا.

1 عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق**، دار الكتب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1411هـ-1991م، ص75.

ج. تعريف الدلالة:

*** لغة:**

لقد ورد في مادة [د ل ل] تصاريف واستعمالات متنوعة عند علماء اللغة العربية، ونجد منهم قول **الزمخشري (ت538هـ): دل: "** دله على الطريق وهو دليل المفازة وهو أد ولاؤها وأدلت الطريق اهتديت إليه **".**[1]

كما نجد **" ابن منظور" (ت711هـ)** يعرفها في معجمه" **لسان العرب "** بقوله: « دلل، أدل عليه ودله على الشيء يدله، دلا، ودلالة فأندل سدده إليه، ودللته فأندل وقال أيضا: "سمعت أعرابيا يقول الآخرة: أما تدل على الطريقة؟ وقد دله على الطريق يدله دلالة، دلالة، ودلولة، والفتح أعلى »[2].

ومن هذين التعريفين نستنتج أنّ الدلالة تحمل مفهوم (الهداية والارشاد والسداد) إضافة إلى (بيان الشيء وايضاحه). ومن الشواهد على معنى الإرشاد والهداية والإبانة قوله عزّ وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾. [3]

وقوله تعالى ﴿۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [1].

---

1 الزمخشري، **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1998م، ص295.

2 ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دلل)، ص 248-249.

3 **سورة الصف**، الآية 10.

فهذه الآيات جميعها ذات معنى لغوي أساسي واحد، هو أن الدلالة تعني الهداية إلى الطريق والارشاد إليه ودلالة اللفظ هي هدايته الى معناه، كما يقول صاحب **"القاموس المحيط ":** « دل عليه وإليه دلالة إذا أرشد، ودله على الطريق ونحوه إذا سدده إليه... » [2].

*** اصطلاحا:**

يقول " **الشريف الجرجاني" (ت816هـ):** « الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء أخر والشيء الأول الدال والثاني المدلول » [3].

- ✓ وعليه فإن الدلالة عنده ذات وجهين: دال ومدلول، فالدال هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما والمدلول هو التصور الذهني لذلك الشيء ومن خلالهما يحدث المعنى الحقيقي الموجود.

ويرى **"الأنصاري (926هـ) ":** أن الدلالة هي« دلالة اللفظ على معناه مطابقة، وعلى جزئه تضمن، وعلى لازمه الذهني التزام ».[4]

---

1 **سورة القصص**، الآية 12.

2 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 2003م، ص94.

3 الشريف الجرجاني، **التعريفات**، ص139.

4 زكرياء محمد الأنصاري، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991م، ص79.

✓ فهنا الأنصاري أشار في تعريفه إلى تقسيمات الدلالة في جانب التقسيم البلاغي لدلالة اللفظ على المعنى، وهنا يجب أن يدل اللفظ على حقيقة معناه.

ثانيا: اللّسانيات التّداولية:

إن التداولية في ذاتها لا تنحصر في مجال معين فتكسب تعريفا مجددا ولكن بتعدد مجالاتها، وامتدادا اهتماماتها، اكتسب تعدد مفهوماتها وبهذا قد عدل هذا العنصر التعريف بمصطلح التّداولية وبداياتها وأهم مفاهيمها المتداولة.

1. تعريف التّداولية:

*** لغة:**

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دول) وله معانٍ مختلفة، فقد ورد في معجم " **أساس البلاغة للزمخشري" (538هـ)**:«دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه (...) وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد (...) والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم والدهر دول وعقب ونوب، وتداولوا على الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما »[1].

وجاء في " **لسان العرب لابن منظور"(711هـ)**: « تداولنا الامر، أخذناه بالدول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر(...) ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس

1 الزمخشري، **أساس البلاغة**، ص303.

وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تحاورنا فعمل هذا مرة وهذا مرة».[1]

من خلال التعريفين يتبيّن أنّ مصطلح التداولية هو من الجذر "دول" والذي يعني الانتقال والتحول من حال إلى حال آخر، أو من مكان لآخر. وقد ورد هذا الجذر في القرآن الكريم في عدة مواضع وكانت كلها تحمل المعنى نفسه، كقوله تعالى في الآيات التالية: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [2]

وقوله أيضا﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]

*** اصطلاحا:**

من الناحية الاصطلاحية شهدت الدراسات اللسانية تحولات جذرية في حقل المفاهيم، فبينما اهتم اللسانيين بالبنى اللغوية من حيث التركيب والدلالة، ظهر مصطلح جديد يحيل إلى رؤية خاصة للغة، وهو مصطلح التداولية.

1 ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دول)، ص 252-253.

2 **سورة الحشر**، الآية 7.

3 **سورة آل عمران**، الآية 140.

ولعل محاولة الوقوف على تعريف موّحد للتداولية، يعد من الصعوبة بمكان نظرا لتنوع خلفياتها الفكرية والثقافية، فتعدّدت التعريفات بحسب تخصصات أصحابها ومجالات اهتماماتهم، ومن أبرزها ما قدمه **" فرانسيس جاك "** تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا.[1]

ونجد **" مسعود صحراوي"** يعرف التداولية بقوله «هو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "**الخطاب**" والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة ناجحة، والبحث عن أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية ...» [2].

من خلال هذا التعريف نجد أنه يشير إلى قضية أساسية في التداولية وهي تعدد وتشعب اتجاهاتها.

وهناك تعريف آخر للساني **" ماري دير وفرنسوا ريكاناتي"** وهو أن « التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شهادة في ذلك على مقدرتها الخطابية » [3]

1 فرانسواز أرمينيكو، **المقاربة التداولية**، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1987، ص13.

2 مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص30.

3 فرنسواز أرمينيكو، **المقاربة التداولية**، ص8.

والمقصود من هذا أن التداولية تهتم بدراسة اللغة الإنسانية وتبحث في الدلالات التي تفيد اللغة في الاستعمال.

تضم التداولية مجموعة من المفاهيم الإجرائية والقضايا، تمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة، ولذلك أولى علماء اللسانيات هذه القضايا عناية كبيرة في أبحاثهم اللغوية، لكونها تسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة وأكثرها ضبطا.[1]

فهي علم تواصلي جديد يقوم على مجموعة من المفاهيم الإجرائية، يكاد يتفق الباحثون على أن أهمها أربعة مفاهيم هي: **"أفعال الكلام" (Les actes de langages)**، و**"متضمنات القول" (Les implicites)**، و**"الاستلزام الحواري" (L'implication conversationnel)**، **والإشاريات (Deicies)**.[2]

فضلا عن جوانب أخرى تعد من صميم البحث التداولي، مثل **" نظرية الملائمة "(théorie pertinence)**، و**"القصدية" (intentionalistic)**، و**"السياق" (contexte)**، و **"الحجاج" (argumentation)**.

1) نظرية الأفعال الكلامية:

يقصد بالفعل اللغوي أن التحدث بلغة ما يعني تحقيق فعل لغوي أو أكثر بمجرد التلفظ بألفاظ تلك اللغة بمعنى « أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قولية **acte locution**

1 باديس لهويمل، **مظاهرالتداولية في مفتاح العلوم**"، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014م، ص20.
2 **المرجع نفسه**، ص20-21.

لتحقيق أغراض انجازية **acte illocution**(...) غايات تأثيرية **acte per locution** تضفي ردود فعل المتلقي »[1].

1) متضمنات القول:

تشكل متضمنات القول مفهوما إجرائيا تداوليا يهتم برصد الجوانب الضمنية والخفية من الخطابات، ذلك المتلفظ بالخطاب قد يلجأ أحيانا إلى عدم التصريح بكلامه، نتيجة ظروف معينة يخضع لها، فيحمل على التلميح بكلامه إلى أشياء غير مصرح بها، ولكنها متضمنة في القول[2].

ومن أهم أشكال متضمنات القول نجد: **"الافتراض المسبق" (Pré-supposition)** والأقوال **المضمرة (Les sous-entendus)**.

2) الاستلزام الحواري:

يعد من أهم المفاهيم الإجرائية التداولية، وألصقها بطبيعة النص التداولي، ويقوم على النظر إلى جمل اللغات الطبيعية بكونها تحمل في مقامات معينة، معنى ثان غير

1 مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، ص 30-45.

2 عمر بلخير، **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية**، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص112.

معناها الحرفي (**محتواها القضوي**)، مثال ذلك الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و(ب):

الأستاذ(أ): هل الطالب (ج) مستعد للدراسة في قسم الفرنسية[1].

ـ الأستاذ(ب): أن الطالب(ج) ممثل مسرحي ممتاز.

نلاحظ أن الحمولة الدلالية للجملة الثانية تحمل معنيين إثنين في الوقت نفسه، معنى حرفيا يدل على كون الطالب(ج) ممثلا ممتازا على خشبة المسرح، ومعنى مستلزما يدرك من مقام الكلام يتمثل في كون الطالب(ج) غير مستعد لمتابعة دراسة في قسم الفرنسية، وسميت هذه الظاهرة " **بالاستلزام الحواري**".[2]

3) الاشاريات:

توجد في كل اللغات كلمات وتعبيرات لا يتحدد مدلولها، ولا يمكن تفسيرها بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، والمرجع الذي تحيل إليه، وتسمى **بـ: إشاريات deicies**، وتشمل: الضمائر، وأسماء الإشارة وزمان الفعل، وبعض ظروف الزمان والمكان (أنا، أنت، هي، هو، هذا، هناك، الآن، أمس، غدا)، فهذه الإشاريات (من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه مرجع غير ثاب).[3]

1 باديس لهويمل، **مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي**، ص29.

2 **المرجع نفسه**، ص29-30.

3 عبد الهادي بن ظافر الشهيري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م، ص80.

وميز الباحثون في هذه الإشاريات خمسة أنواع: شخصية وزمانية، ومكانية وخطابية واجتماعية.[1] إضافة لهذه المفاهيم الإجرائية والتداولية، توجد مفاهيم وجوانب للنظر التداولي غيرها، تختلف من باحث لآخر منها:

4) القصدية:

مفهوم إجرائي يلقى اهتماما كبيرا حاليا في النظرية التأويلية المعاصرة، واللّسانيات التّداولية، فالنص مؤول لتقاطعات عديدة بين المتكلم **(المتلفظ بالخطاب)** وبنية النص أو الخطاب والسامع، فيكون لدينا قصد المتكلم، الذي فهمه السامع من النص، إضافة لما تحويه بنية النص من: قصد وضعه المتكلّم في نصه وما حواه النص من قصد لم يقصده المتكلّم، فكانت هذه الجوانب من أهم ما عني به العلماء في الدرس الحديث متجاوزين التصورات الشكلية التي قصرت النظر على النص فقط.[2]

5) الحجاج:

يعد من الآليات البارزة التي يستخدمها المتكلم في خطابه لإبلاغ أفكاره وأغراضه من كلامه بالقدر الذي يريد، وتجاذبه حقول معرفية مختلفة منها: المنطق والفلسفة والقانون والسياسة واللّسانيات، ويعد **(شاييم بيرلمان وميشال ماييير)** من أبرز منظري نظرية الحجاج والمعاصرة.[3]

---

1 عبد الهادي بن ظافر الشهيري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، ص85.

2 صلاح إسماعيل، **فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل**، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د، ط)، 2007، ص151.

3 باديس لهويمل، **مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي**، ص37.

الفصل الأول: الدلالة والمعنى في التراث البلاغي

المبحث الأول: ماهية الدلالة والبيان في البلاغة العربية

المبحث الثاني: كيف تناول البلاغيون العرب المفاهيم الدلالية

المبحث الثالث: علم البيان عند ابن سنان الخفاجي

توطئة

يرى فريق من الدارسين أن البحث عن المصطلح العلمي في التراث البلاغي المعرفي القديم، قد لا يقدم للدرس اللغوي الحديث شيئا ذا أهمية عدا أنه يضع يد الباحث على التأريخ الأول لميلاد المصطلح ويطلعه على الإطار العام الذي دارت حوله موضوعات "الدراسة" في طورها البدائي وقد يحصل تطور جذري في مفهوم المصطلح فينتقل مفهومه من حقل دلالي معين إلى حقل دلالي آخر خاضعا لسنن التطور الذي يمس بنية اللغة وعناصرها عبر مسارها التاريخي المتجدد، لكن الموضوعية العلمية في الدرس اللغوي الحديث، تملي بل تفرض على الباحثين ضرورة تأطير بحثهم تأطيرا علميا دقيقا، خاصة إذا كان البحث يتوخى تأصيل الدراسة، والتنقيب عن جذورها في التراث المعرفي المتنوع، سعيا منه إلى ربط الحقائق العلمية الحديثة بأصولها الأولى.

المبحث الأول: ماهية الدلالة والبيان في البلاغة العربية

أولا: الدلالة في البلاغة العربية

1 نشأة علم الدلالة:

لقد استقطبت اللغة اهتمام المفكرين منذ أمد بعيد، لأن عليها مدار حياة مجتمعاتهم الفكرية والاجتماعية وبها قوام فهم كتبهم المقدسة كما شأن الهنود قديما حيث كان كتابهم "**الفيدا**" منبع الدراسات اللغوية والألسنية على الخصوص التي قامت حوله، ومن ثمة غدت اللسانيات الإطار العام الذي اتخذت فيه اللغة مادة للدراسة والبحث.

وكان الجدل الطويل الذي دار حول نشأة اللغة قد أثار عدة قضايا تعد المحاور الرئيسة لعلم الألسنية الحديث فمن جملة الآراء التي أوردها العلماء حول نشأة اللغة: "**بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلامة اللزومية بين النار والدخان**"[1]

إن المباحث الدلالية قد أولت اهتماما كبيرا علاقة اللفظ بالمعنى وارتبط هذا بفهم طبيعة المفردات والجمل من جهة وفهم طبيعة المعنى من جهة أخرى، فلقد درس الهنود مختلف الأصناف التي تشكل عالم الموجودات وقسموا دلالات الكلمات بناء على ذلك إلى أربعة أقسام:

- قسم يدل على مدلول أو شامل (مثل لفظ= رجل).
- قسم يدل على مدلول كيفية (مثل لفظ= طويل)

1 أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1988م، ص19.

- قسم يدل على حدث (مثل الفعل= جاء).
- قسم يدل على الذات (مثل الاسم= محمد).[1]
- كان هذا التقسيم مع علماء اللغة الهنود وذلك أن دراسة المعنى في اللغة بدأ منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي في حين أن اليونان كان لهم أثرهم البين في بلورة مفاهيم لها صلة وثيقة بعلم الدلالة، فأفلاطون يميل إلى القول حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول. [2]

أما **أرسطو** فكان يقول باصطلاحية العلاقة وذهب إلى قسم الكلام إلى كلام خارجي وكلام داخلي في النفس، فضلا على تميزه بين الصوت والمعنى معتبرا المعنى متطابقا مع التصور الذي يحمله العقل عنه. [3]

وبقي الاهتمام بالمباحث الدلالية يزداد عبر مراحل التأريخ ولم يدخر المفكرون أي جهد من أجل تقديم التفسيرات الكافية لمجمل القضايا اللغوية، التي فرضت نفسها على ساحة الفكر، ففي عصر النهضة أين سادت "**الكلاسيكية**" بأنماطها في التفكير والتأليف امتازت الدراسات اللغوية في هذه المرحلة بالمنحى المنطقي العقلي، وأحسن ما

1 أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص19.

2 ينظر، منقور عبد الجليل، **علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي**، ديوان المطبوعات الجامعية، دمشق، 2000 م، ص17.

3 ينظر، **المرجع نفسه**، ص17.

يمثل هذه الفترة رواد مدرسة "**بول روبال**" الذين رفعوا مقولة: "**أن اللغة ماهي إلا صورة للعقل، وأن النظام الذي يسود لغات البشر جميعا قوامه العقل والمنطق**"[1].

وفي حدود القرن التاسع عشر الميلادي، تشعبت الدراسات اللغوية، فلزم ذلك تخصص البحث في جانب معين من اللغة، فظهرت النظريات اللسانية وتعددت المناهج فبرزت الفونولوجيا التي اهتمت بدراسة وظائف الأصوات إلى جانب علم الفونتيك الذي يهتم بدراسة الأصوات المجردة، كما برزت الابستيمولوجيا التي اعتنت بدراسة الاشتقاقات في اللغة ثم علم الأبنية والتراكيب الذي يختص بدراسة الجانب النحوي وربطه بالجانب الدلالي في بناء الجملة.

وفي الجانب الأخر من العالم، كان المفكرون العرب قد خصصوا للبحوث اللغوية حيزا واسعا في انتاجهم الموسوعي الذي يضم إلى جانب العلوم النظرية كالمنطق والفلسفة علوما لغوية قد مست كل الجوانب الفكر عندهم، سواء تعلق الأمر بالعلوم الشرعية كالفقه والحديث، أو علوم العربية نفسها وتعلمها من المفاتيح الضرورية للتبحر في فهم العلوم الشرعية.

اهتم العلماء بدلالة الألفاظ والتراكيب وتوسعوا في فهم معاني نصوص القرآن الكريم والحديث واحتاج ذلك إلى وضع أسس نظرية، فيها من مبادئ الفلسفة والمنطق ما يدل على تأثر العرب بالمفاهيم اليونانية ولذلك يؤكد "**عادل الفاخوري**" أنه: "**ليس من**

1 زبير دراقي، **محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990 م، ص25.

مبالغة في القول إن الفكر العربي استطاع أن يتوصل في مرحلته المتأخرة إلى وضع نظرية مستقلة وشاملة يمكن اعتبارها أكمل النظريات التي سبقت الأبحاث المعاصرة"[1].

فالأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي، لا يمكن حصرها في حقل معين من الانتاج الفكري بل هي تنوع لشمل مساحة شاسعة من العلوم لأنها مدينة "للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والنقد الأدبي والبيان "[2]

2 – علم الدلالة:

أما العلماء المحدثين فقد عرفوا الدلالة بأنها؛ "**دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى**".[3]

من خلال تعريف العلماء المحدثين للدلالة فإننا نجدهم قد ربطوا الدلالة بالمعنى؛ أي أن علم الدلالة معنيٌ بالمعنى في المقام الأول ويعكف على دراسته وهذا ما أشار إليه كذلك "**بالمر**" في قوله: "**علم الدلالة sémantique مصطلح فني يستخدم في الإشارة إلى دراسة المعنى ورغم أن المعنى يهيمن على جوانب لغوية عدَة ليس هناك اتفاق عام على ماهية المعنى، أو السبيل إلى وصفه**".[4]

1 عادل الفاخوري، **علم الدلالة عند العرب**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985م، ص5.

2 **المرجع نفسه**، ص5.

3 الجرجاني، **التعريفات**، ص91.

4 ف، بالمر؛ **علم الدلالة إطار جديد**، دار المعرفة الجامعية، تر:صبري ابراهيم السيد، اسكندرية، 1995 م، ص9.

ثانيا: إضاءات حول مفهوم البيان في البيئة الفكرية العربية القديمة

I. معانى البيان اللغوية:

يمكن ارجاع مجمل حديث ابن منظور عن البيان حسب **"محمد الجابري"**، في كتابه **" بنية العقل العربي"** إلى أن البيان خمس مستويات[1]هي كالآتي :

1. دلالة المادة (ب، ي، ن) على المفارقة والانفصال[2]: جاء في معجم **" لسان العرب"** بعض المعاني المتعلقة بكلمة بيان منها:

ـ **البائنة:** يقال؛ طلب إلى أبويه البائنة، وذلك إذا طلب إليهما أن بيناه بمال فيكون له على حدة... والبائنة أيضا: **البئر البعيدة العقر الواسعة.**

ـ تبيان القوم: بمعنى تهاجروا

ـ أبان: فصل، تقول ضربه فأبان رأسه من جسده وفصله، فهو مبين.

ـ البين: البعد والفراق.

2. دلالة المادة (ب، ي، ن) على الوصل[3]: يقدم لنا لسان العرب تفاصيل كثيرة عن دلالة المادة اللغوية التي نحن بصددها وهي:

ـ يستشهد ابن منظور لهذا المعنى بأبيات من الشعر منها قول الشاعر:

---

1 ينظر، محمد عابد الجابري، **بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1997م، ص18.

2 ابن منظور، **لسان العرب**، ص62-64 .

3 **المصدر نفسه**، ص 62-64.

لَقَدْ فَرّقَ ٱلوَاشِينَ بَيْنِي وَبَيْنِهَا فَقَرَتْ بِذَلِكَ الْوَصْلِ عَيْنِي وَعَيْنِهَا

➢ فالبين في هذا البيت يدل على الوصل.

ـ كما استشهد من القرآن الكريم بالآية التي يخاطب بها قوماً من المشركين يوم القيامة والتي يقول فيها عز وجل ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[1]

فالمعنى في هذه الآية الكريمة هو تقطع الوصل بينهم.

3. دلالة المادة (ب، ي، ن) على الظهور والوضوح: تعرضنا في المادتين السابقتين إلى معاني الانفصال والاتصال، أما في هذه المادة سنقدم دلالة الظهور والوضوح كالتالي:

ـ التبين: الإيضاح وأيضا الوضوح، ومنه التبيان بكسر التاء مصدر.

(وهو شاذ لأن المصادر إنما تجيء على التفعال بفتح التاء)[2]

ومعناه: الكشف والإيضاح. قال ابن سيده: هكذا أنشده ثعلب ويروى: تُبَيّن بالفتى شحوب، والتَّبْيينٌ: الايضاح، والتبيين أيضا الوضوح.

1**سورة الأنعام**، الأية 94،

2 محمد عابد الجابري، **بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية**، ص18.

ترجع معاني البيان في هذه المادة إلى مفهوم واحد ألا وهو الوضوح والظهور، حيث يعدّ؛ "البيان: ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها".[1]

4. دلالة المادة (ب، ي، ن) على الفصاحة والقدرة على التبليغ والإقناع: في هذه المادة نتطرق إلى كيفية تأمل الإنسان لأشياء ومدى قدرته على تبليغ السامع واقناعه وقدرته على ايراد الكلام.

جاء في" لسان العرب" مايلي:

_ البيان: الفصاحة واللسن وكلام بين: فصيح

_ البيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، حيث روي ابن عباس عن النبي"صلى الله عليه وسلم"

أنه قال: **(إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكمًا).**[2]

- البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن وتعتمد هذه المادة على معنى الإفصاح ووجود القدرة على التبليغ ومهمة الاقناع التي على عاتق الإنسان شريطة توفر الصدق والابتعاد عن النفاق والباطل والبيان المسحور والمذموم.

1 ابن منظور، **لسان العرب**، ص67.

2 **المصدر نفسه**، ص 69.

5. دلالة المادة (ب، ي، ن) على الكلام الذي يفصل الإنسان عن الحيوان: في هذه المادة نستعرض أهم المعاني التي يتميز بها الإنسان عن بقية المخلوقات ونقدم أراء المفسرين والمتكلمين البيانيين وفي هذا الصدد يقول "ابن منظور":[1] **قال الزجاج في قول الله تعالى:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[2]

- فمن خلال القول نستنتج أن المقصود من "الإنسان" هو آدم، والمقصود من "**علمه البيان**"؛ القرآن الكريم.
- هكذا تكون فكرة ابن منظور في تمييز الإنسان عن الحيوان، بالإضافة إلى أفكار أخرى متنوعة ومختلفة كفكرة الزمخشري حيث يقول في تفسيره "الكشاف" **(ذكر ما تميز به الإنسان من سائر الحيوان من البيان وهو النطق (النطق = الكلام) الفصيح المعرب عما في الضمير).**[3]
- نرى من خلال قول الزمخشري أن الإنسان اتصف بميزة النطق التي لم تكن لدى الحيوان فهي خاصية انفرد بها عن تلك المخلوقات.

_ ما يلفت الانتباه من خلال استعراض المعاني اللغوية أن لكلمة "بيان" عدة معاني؛ بحيث كل معنى يستدعي معنى آخر، بدءًا من معاني الوصل والمفارقة ثم ارجاع البيان إلى أصل الوضوح والظهور إلى غاية فصل الإنسان عن الحيوان، فإذا قمنا بترتيب هذه

1 ابن منظور، **لسان العرب**، ص 69.

2 **سورة الرحمن**، الآية (01-02).

3 أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتب العربي، بيروت، ج4، (د، ت)، ص 443.

المعاني اللغوية فإنه يمكن القول بأن البيان يفيد الإظهار والوصل وكذا الظهور والانفصال.

II. البيان في الاصطلاح:

لقد ظل عنصر البيان مصدر اهتمام الكثير من النقاد والباحثين والدارسين لما له من أهمية بالغة في الدرس البلاغي ونظمه، إذ يمكن الوصول إلى البيان العربي من خلال مجموعة من المؤلفات البلاغية وكذا الكتب القديمة التي عُنيت بمصطلح البيان، ويعد البيان العمود الفقري للعلوم العربية، وفن من فنون اللغة العربية لأثره البعيد فيها، إذ يشرح محاسنها وصنوف التعبير بها، كما يفسر جل الملامح الجمالية في الأدب عامة.

وقد نذكر من هؤلاء الباحثين والمفكرين رجال الأصول "**كالشافعي**" وعلماء الكلام من مثل "**الجاحظ**" والبلاغيين على رأسهم "**الجرجاني**" و"**السكاكي**" الذين تطرقوا إلى الحديث عن البيان وعرضوا نظرتهم لمفهوم البيان.

1. عند علماء الأصول:

من بين علماء الأصول "الإمام الشافعي" ويمكن استخلاص نظرة علماء الأصول لمفهوم البيان من خلال مصادر تراثية، ولعل من أهم تلك المصادر نجد مؤلف "الرسالة" لمحمد بن ادريس الشافعي الذي يعد واضع علم أصول الفقه ولعله من بين الأوائل من العلماء الذين خصصوا حيزًا في دراساتهم للحديث عن مصطلح البيان، استهل الشافعي

رأيه حول البيان بطرح سؤال مركزي هو **"كيف البيان؟"**، **"وكيف البيان؟"** (صيغة استفهامية سعى للإجابة عنها بالاستناد إلى دلالة البيان على الظهور والوضوح).[1]

ويجيب الإمام الشافعي عن ذلك التساؤل قائلا **(البيان جامع لمعاني مجتمعه الأصول، متشعبة الفروع، فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة إنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه متقاربة الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشد تأكيد بيان من بعض مختلفة عند من يجهل لسان العرب).**[2]

- ✓ الإمام الشافعي هنا قد عرف البيان بالقول بأنه اسم جامع لمعانٍ مجتمعة الأصول وقد أجاب عن سؤاله كيف البيان؟ بوصف تلك المعاني التي جاءت بها الآيات القرآنية ولا يخرج عن مدار الايضاح والوضوح والفصاحة.

2. عند المتكلمين:

لقد اهتم الجاحظ بالعديد من القضايا اللغوية والبلاغية لكونه يعد مرحلة مهمة وحاسمة في تاريخ البلاغة العربية، ومن تلك القضايا قضية "البيان" فهو أَلَمَّ في كتبه مفهوم البيان ومجمل الملاحظات الخاصة يه، إذ تعد كتبه وثيقة تبين دور المتكلمين في ارساء أسس البلاغة وضبط مقاييسها.

1 ابن منظور، **لسان العرب**، ص67.

2 محمد ادريس الشافعي، **الرسالة**، تح وشر: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، د،ت، لبنان، ص21.

ومفهوم البيان غير مستقر على معنى واحد بل يتعدد بتعدد السياقات حيث ارتبط مفهومه لدى الجاحظ بوظيفة التعبير ومدى امكانية إفهام السامع، مستدلا على ذلك بقوله:"**البيان اسم جامع لكل شيء كشف للإقناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شئي بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع**"[1].

- ركز الجاحظ في هذا النص على وظيفة الفهم والإفهام والتعبير عن المعاني.

3. البلاغيون المتأخرون:

البيان جزء لا يتجزأ من علم البلاغة، وعنصر من عناصر العلوم البلاغية، وهذا لما فيه من صنعة أدبية وجمالية، وفن أتقنوه واهتموا به أيّما اهتمام، ممّا أدى إلى ولادة العديد من العلماء البلاغين المتأخرين الذين أولوا في دراساتهم وبحوثهم البلاغية كامل الاهتمام لـ "علم البيان" وبينوا كيف تطورّ على مرّ العصور تدريجيا. – جاء العلامة "**عبد القاهر الجرجاني**" في القرن الخامس الهجري **(400هـ-471هـ)** فأقتطف ثمار هذه الجهود واستعان بها في وضع نظرية "علم البيان" ولهذا عدّ "**الجرجاني**" واضع أسس البلاغة العربية؛ فهو المثبت لأركان هذا العلم ومؤسسها بحيث مفهوم البيان في معناه البلاغي كان حاضرًا حضورًا قويًا عند العلماء الأولين.

1 الجاحظ، **البيان والتبيين**، ص76.

ـ نظر عبد القاهر الجرجاني إلى البيان نظرة عميقة، فقد بدأ حديثه في كتابه "**دلائل الإعجاز**" ببيان المراد من مصطلحات الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان إذ قال في هذا الصدد « **لم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة، والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات (...)** » .[1]

فقد ربط البيان بهذه المصطلحات التي لا تخرج عن نطاق الإيضاح والكشف والوضوح، وأشار إلى أن كل مصطلح يحمل دلالة ومعنى يختلف عن الآخر، إذ لم يفرق عبد القاهر بين البلاغة والفصاحة والبراعة والبيان من حيث القاعدة الأساسية التي تنبنى عليها هذه المصطلحات.

1 عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر الخانجي، القاهرة، ط 5، 1424هـ _ 1998م، ص5.

المبحث الثاني: كيف تناول البلاغيون العرب المفاهيم الدلالية

- **الدلالة عند علماء العرب القدامى:**
- **الأسس والمبادئ النظرية:**

إن الأسس النظرية التي انبنى عليها المصطلح العلمي القديم نشأت في رحاب الدرس الفقهي، الذي يتوخى فهم كتاب الله واستنباط الأحكام منه، ولذلك نجد مختلف علوم التراث المعرفي العربي تشترك في أدوات البحث ومصطلحاته العلمية ولا أدل على ذلك أن ظهر فرع من علوم العربية أطلق عليه "فقه اللغة" على غرار فقه الشرع، كما استخدم اللغويون القدامى مصطلحات هي من لوازم الفقه الشرعي نذكر منها؛ مصطلح القياس والسماع والإجماع واستصحاب الحال والاستحسان.[1]

ومع ذلك لم يشد الدرس الدلالي في التراث العربي عن هذه الأسس النظرية باعتباره كان يدور في تلك العلوم التي كانت تهدف إلى فهم كتاب القرآن.

ويمكن أن نلمس هذا الاهتمام بالدلالة لدى المتقدمين من العلماء العرب في ميادين مختلفة من المعارف والعلوم كالمنطق والفلسفة وأصول الفقه، والتاريخ والنقد، وبناء على هذه العلوم سنبيّن تعريفات الدلالة عند كل من:

- **أبو نصر الفرابي (ت339 هـ).**

1 ريمون طحان، دينز بيطار طحان، **فنون التقعيد وعلوم الألسنية**، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط1، 1983م، ص26.

- **الإمام أبو أحمد الغزالي (ت505 هـ).**
- **عبد الرحمن بن خلدون (ت808 هـ).**

واختيارنا لهؤلاء الأعلام ارتكز أساسا على عدّة اعتبارات كان أهمها وضوح الاهتمام بالتنظير الدلالي الذي يبدو واضحا وبارزًا في مؤلفات هؤلاء العلماء وسنقتصر على تقديم ماهية الدلالة عند العلماء العرب القدامى تقديما موجزًا بقدر الذي يبرز مفاهيمها وتعريفاتها.

أ. مفاهيم الدلالة عند الفرابي (ت 399 هـ):

لقد اقترن اسم الفرابي في التراث العربي بميدانين من ميادين الثقافة الإسلامية وهما: **ميدان علم المنطق، وميدان علم الفلسفة،** وصلة هذين الميدانين بعلوم اللغة لا تخفى على أي مصطلح ودارس للتراث المعرفي العربي، فالفرابي كان يرى ضرورة الأخذ بعلوم العربية وقوانينها وسننها في التعبير والخطاب، لأنها أدوات أساسية في البحث المنطقي والفلسفي، ولا نكاد نعثر عنده على تنظير للدلالة ومتعلقاتها، إلا بقدر ماله ارتباط بهذين العلمين، ومن جملة المسائل الدلالية التي بحثها الفرابي مايلي[1]:

_ أقسام الألفاظ باعتبار دلالتها:

لقد اهتم الفرابي اهتمامًا بالغًا بالألفاظ، فصنفها إلى تصنيفات عدة، بل إنه وضع لها علمًا خاصًا سماه "**علم الالفاظ**" الذي عدّه من فروع علوم اللسان التي قسمها إلى

1 منقور عبد الجليل، **علم الدلالة**، ص 33.

سبعة أقسام وهي:« **علم الألفاظ المفردة وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الشعر** »[1].

- دراسة الفرابي للألفاظ لا يمكن حضورها بمعزل عن الدلالة، فلا وجود لألفاظ فارغة الدلالة في علميّ المنطق والفلسفة، إنما الألفاظ ودلالتها وجهان لعملة واحدة مما يسمح ذلك في القرون المتأخرة إلى إبراز جملة من العلاقات الدلالية الناتجة عن اتخاذ الدال بمدلوله وهو ما ظهر جليًا في العصر الحديث **"دوسوسير"** الذي وضع مصطلح الدليل اللساني(**Le signe L 'inguistique**) على اتخاذ اللفظ بالمعنى قطبيّ الدلالي.
- يقول الفرابي: « **الألفاظ الدالة منها مفردة تدل على معانٍ مفردة ومنها مركبة تدل على معان مفردة ... والألفاظ الدالة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس: اسم وكلمة (فعل) وأداة (حرف) وهذه الأجناس الثلاثة تشترك في أن كل واحد منها دال على معنى مفرد** »[2].
- أقسام الألفاظ باعتبار دلالتها تنتظم في قسمين؛ ألفاظ مفردة ذات دلالة مفردة ومعيار اللفظ هو ما يدل على جزؤه على جزء معناه، فدلالته قابلة للتجزئة أما

1 الفرابي، **إحصاء العلوم**، دار الفكر العربي، تح وتع وتق: عثمان أمين، القاهرة، ط2، 1949م، ص159.

2 الفرابي، **العبارة (كتاب في المنطق)**، الهيئة المصرية للكتاب العرب، تح: محمد سليم، 1976م، ص74.

قسم الألفاظ المركبة ذات الدلالة المفردة فهي على نقيض الألفاظ المفردة، إذ هي غير قابلة لأن تتجزأ دلالتها وتعرف بأنها ما يدل جزؤه على جزء معناه.

_ ما يقوم به مقام اللفظ المفرد من الأدوات الدالة:

لقد قسم الفرابي الألفاظ الدالة إلى ثلاثة أقسام: « **الاسم والفعل والأداة وإذا كانت دلالة الاسم والفعل واضحة فإن دلالة الأداة قد يكتنفها غموض يشرح الفرابي في كتابه "الحروف" هذه المسألة ويفيض فيها ففي مقام حصره لاستخدامات الحروف "ما" يقول يستعمل (ما) في السؤال عن شيء ما مفرد، وقد يقرن باللفظ ت المفرد والذي للدلالة عليه أولا وهو الشيء الذي جعل ذلك اللفظ دالاً عليه** »[1] .

_ الحروف ليست لها دلالة على ذاتها إنما قيمتها الدلالية فيما شير إليه واللفظ لا يدل على ذاته على المحتوى الفكري الذي في الذهن وفي هذا الإطار يشرح الفرابي استعمالات اللفظ "**موجود**" فيقول: **الموجود لفظ مشترك يقال على جميع المقولات والأفضل أن يقال إنه اسم لجنس من الأجناس العالمية على أنه ليست له دلالة في ذاته** »[2].

1 الفرابي، **كتاب الحروف**، دار المشرق،تح، تع، تق: محسن مهدي، بيروت،1970م، ص166.

2 ابن سينا،**الإشارات والتنبيهات**، دار المعارف، شر: نصر الدين الطوسي تح: سليمان دنيا، مصر، ط2، 1960م، ص115.

_ الدلالة محتواة في النفس

إن العلاقة التي تربط الدال بمدلوله في علم المنطق، لا يمكن أن تترك دون قواعد أو قوانين لأن علم المنطق يهدف إلى عقلنة الأفكار بإخضاعها إلى قوانين تنتظم في إطارها، ولهذا يطلق الفرابي على المعاني أو الدلالات مصطلح منطقي هو" **المعقولات**" التي يكون محلها النفس التي يتم فيها تصحيح المفاهيم برؤية منطقية.

يقول الفرابي في ذلك: «**وأما موضوعات المنطق وهي التي تعطي القوانين فهي المعقولات من حيث تدل عليها الألفاظ والألفاظ من حيث هي دالة على المعقولات وذلك أن الرأي إنما نصححه عند أنفسنا بأن نفكر ونروّي ونقيم في أنفسنا أمورًا ومعقولات شأنها نصحح ذلك الرأي** ».[1]

ب. مفاهيم الدلالة عند الغزالي (ت 505هـ):

إن مفهوم الدلالة عند الغزالي ينبغي أن ينظر إليه من زاوية الثقافة الأصولية ذلك أن الأحكام التي استنبطها من القرآن الكريم، استند فيها على أسس نظرية نجدها بشكل واضح "المستصفى في علم الأصول" والتفسير الدلالي الذي توصل إليه الغزالي يدل على أن العالم الفيلسوف قد تجاوز البحث عن ماهية الدلالة إلى البحث عن جوهر الدلالة وفروعها، فبنظرة مقتضية إلى بعض نصوصه في كتابه المشار إليه تجده يذكر أصنافا لمعان قد حددها علماء الدلالة المحدثون كالمعنى الإرشادي أو الايمائي والمعنى

1 الفرابي، **إحصاء العلوم**، ص167.

الاتساعي، والمعنى السياقي، وإن كان الغزالي يسميها بمصطلحات أصولية وهي على الترتيب؛ دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب.

ـ كل دلالة عند الغزالي قد قسمها إلى دلالات فرعية يقول معرفًا دلالة الاقتضاء« **بأنها هي التي لا يدل عليها اللفظ ولا يكون منطوقا بها ولكن تكون من ضرورة اللفظ** »[1].

ومن هنا نستنتج بأن دلالة الاقتضاء تتم إما باعتبار طبيعة حال المتكلم فهي بناء على ذلك طبيعة لا يكون المتكلم عندها إلا صادقًا وإما باعتبار طريق العقل فالدلالة عقلية منطقية .

ويشير الغزالي إلى ما يمكن أن يصحب العملية التواصلية من حركة وإيماءة وإشارة من قبل المتكلم فتنصرف الدلالة من المعنى الرئيسي إلى المعنى الإيمائي أو ما يسمى في علم الدلالة الحديث "بالقيم الحافة" وهي تعني حملة القيم الثقافية والاجتماعية وغيرها التي تصحب عملية التواصل أو الإبلاغ فلكي نؤدي دلالة معينة نعتمد فحسب على الألفاظ أو الرموز، وإنما تقتضي ذلك تضافر عدة أنظمة إبلاغية "**إذا كان النظام الكلامي أهمها فإن سائر ما يواكبه مكملا إياه**"[2]

نستنتج أن هذه التصنيفات للدلالة التي حددها الغزالي، تمثل وعيًا عميقًا صحب فكر هذا العالم، ومكنه من أن يسهم في تأسيس الفكر النظري في مجال الدلالة ومن هذه

1 الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، **المستصفى من علوم الأصول**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1943م، ص 187.

2 عبد السلام المسدي، **اللّسانيات وأسسها المعرفية**، المطبعة العربية، تونس، ط1، 1986م، ص 34 .

الاسهامات العلمية التي تقدر حق قدرها مالم ينظر إليها بمنظار "المعرفة" التي تأسس وفقها تراث القرن الخامس والسادس الهجري، وقد أبان الغزالي على نحو علمي راق علاقات الألفاظ بالمعاني، ولم يخرج عن تلك المحددة قبلا عند العلماء "**وهي علاقة المطابقة وعلاقة التضامن وعلاقة الإلتزام**".[1]

ج. **مفاهيم الدلالة عند ابن خلدون (ت 808هـ):**

لا نكاد تعثر لابن خلدون عن تعريف بيّن للدلالة، وإنما باستقراء نصوص "**مقدمة**" نجد دراسات في الدلالة قد تجاوزت بلا شك الماهية إلى البحث العميق عن جوهر الدلالة وطرق تأديتها واضحة من غير لبس يقول موضحًا ذلك وشارحًا:« **واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني، فلا بد بكل منهما أن يكون واضح الدلالة**» [2] .

- نجد ابن خلدون سار على نهج الغزالي يوضح العلاقة القائمة بين المعاني المحفوظة في النفس، والكتابة والألفاظ ويحصرها في ثلاث أصناف:

1. **الكتابة الدالة على اللفظ**
2. **اللفظ الدال على المعاني التي في النفس والضمير (الصورة الذهنية):** وهي المعاني إن لم تكن مجردة فإنها تدل على موجود في الأعيان وعلى هذا الأساس فالصنف الثالث للدلالة.

1 الغزالي، **معيار العلم في المنطق**، دار المعارف، تح: سليمان دنيا، مصر،1969 م، ص 42_43.

2 ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، الدار التونسية للنشر، أبريل، ج2، 1984م، ص 509 .

3. المعاني الدالة على الأمور الخارجية

يعطي ابن خلدون للخط والكتابة أبعاد مهمة في العملية التواصلية باعتبارها أداتين مهمتين من أدوات التعليم والتعلّم الشيء الذي كان يشغل فكر ابن خلدون كثيرًا، يقول معرفًا "الخط" وأداة للدلالة: «**الخط وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية** » [1].

نرى بأن ابن خلدون يصنف الخط في المرتبة الثانية كما فعل الغزالي وذلك في تأدية للدلالة اللغوية بعد الألفاظ، فالخط دال على الألفاظ والألفاظ دالة على المعاني.

يوضح ابن خلدون هذه المسألة التي تخص أصناف الدوال فيقول: «**إن في الكتابة انتقالا من (الصور) الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التى في النفس فهو ينتقل أبدًا من دليل ما دام ملتبسًا بالكتابة وتتعود النفس في ذلك فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات** »[2] .

بهذا التعريف بدلالة اللفظية يكون ابن خلدون قد أشار إلى ما سماه "**أندري مارتيني**" بالتلفظ المزدوج (**Double articulation**) أشتهر ذلك المصطلح في الألسنية الحديثة .

---

1 ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، ص502 .

2 **المرجع نفسه**، ص518.

ـ إن التلفظ الأول هو الطريقة التي تترتب فيها الخبرة اللغوية المشتركة بين جميع أعضاء بيئة معينة، وتقوم كل واحدة من وحدات التلفظ الأول على دلالة صورة صوتية ولا يمكن تحليلها إلى وحدات أصغر ذات معنى.

ـ أما التلفظ الثاني فهو امكانية تحليل الصورة الصوتية إلى وحدات صوتية مميزة تحتوي هذه الوحدات على شكل صوتي ولا تحمل بذاتها أية أدلة .[1]

1 ابن سينا، **العبارة (الشفاء)**، الهيئة المصرية العامة، تح: محمد الحضري، القاهرة، 1970 م، ص4 .

المبحث الثالث: علم البيان عند ابن سنان الخفاجي

1. تعريف البيان عند ابن سنان الخفاجي:

أ. **البيان لغة:**

معنى كلمة "البيان" الفصاحة واللسن وكلام فصيح، والبيان: الإفصاح مع ذكاء والبيّن من الرجال: السمح اللسان الفصيح وفلان أبين من فلان: أفصح منه وأفصح كلامًا، والبيان: ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها.

ومنه: بان الشيء بيانًا: اتضح، يقال: بان الحق يبين بيانًا فهو بائن وأبان يبين إبانه فهو مبين، بمعناه.[1]

- ✓ ومنه نستنتج أنه يراد من "**البيان**" في التعريف اللغوي هو الوضوح والظهور والإفصاح.
- ✓ وقد وردت كلمة "**البيان**" في أكثر من موطن من آيات القرآن الكريم من ذلك **قوله تعالى:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ٤﴾[2]
- ✓ وقد فسر الزمخشري البيان هنا بأنه: المنطق المعرب الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان.

1 ينظر، ابن منظور، **لسان العرب**، ص4.

2 **سورة الرحمن**، الآيات من (1-4).

ـ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1] ؛ يفسرها الزمخشري كذلك بالتوضيح والإظهار إذا خفيَّ **(صلى الرسول صلى الله عليه وسلم)** شيء من معاني القرآن

ب. **البيان في اصطلاح ابن سنان:**

ابن سنان نراه يذكر كلمة **(البيان)** مرادفة لكلمتيّ الفصاحة والبلاغة حيث يقول: « **إن الناس قد أكثروا من الدلالة على شرف الفصاحة، وعظم قدر البيان والبلاغة، ونبهوا بطرق كثيرة، وألفاظ مختلفة، وقد قال عزَّ اسمه:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[2] **ولم يكن تعالى يذكر البيان ها هنا إلاَّ وهو عظيم النعم على عبيده، وجميل البلاء عنهم، ولا جرم قد قرن ذلك بذكر خلقهم** »[3]

وعلى هذا تَرِدُ كلمة البيان عنده ويراد منها: **الكشف والظهور والوضوح** ثم نراه بعد ذلك يعرف "**الفصاحة**": بأنها عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار.

وبالنسبة للبلاغة، فإن كلمة "البيان" قد فسرت تفسيرين: كل منهما فيه معناه اللغوي: **الوضوح والظهور.**

1 **سورة القيامة**، الآية (19).

2 **سورة الرحمن**، الآيات من (1-4).

3 عبد العاطي غريب علي علام، **البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي**، ص 152.

- **التفسير الأول:** الإقناع بالحجة الواضحة، والإفهام بالدليل الظاهر، والبيان بهذا التفسير مرادف للبلاغة.[1]
- **التفسير الثاني:** فإنه يختص بجانب من جوانب البلاغة ويتقيد بفنون محددة من فنونها المتعددة، وكانت بوادر هذا التفسير المحدد لاحت أول ما لاحت على يد الزمخشري حينما استهل كشافه بالتنبيه إلى علميّ المعاني والبيان لمن تتوق نفسه إلى معرفة ما تتضمنه آيات الذكر الحكيم من أسرار يدق مسلكها وتحدد مدلول هذه الكلمة بعد ذلك تحديدًا نهائيًا ظل يلازمها وما تزال تعرف به حتى الآن، وذلك على يد "**أبو يعقوب السكاكي**" المتوفى (626هـ) عندما حصر في القسم الثالث من كتابه "**مفتاح العلوم**" البلاغة في علميّ المعاني والبيان وما يتبعهما من وجوه مخصوصة يصار إليها لتحسين الكلام، وهي المحسنات البديعية .

وهذا ما يفهم أن "**الإمام ابن سنان**" قد اتفق في تحديد مدلول كلمة البيان وهو **(حسن دلالة الكلام على معناه في صورة بارعة من التعبير).**[2]

1عبد العاطي غريب علي علام، **البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي**، ص152.

2 **المرجع نفسه**، ص152.

الفصل الثاني: مظاهر التجاوز الدّلالي والتّداولي في قضايا البيان " سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي

المبحث الأول: تداولية الحقيقة والمجاز في سر الفصاحة.

المبحث الثاني: تداولية التشبيه في سر الفصاحة.

المبحث الثالث: تداولية الاستعارة في سر الفصاحة.

المبحث الرابع: تداولية الكناية في سر الفصاحة.

تمهيد

لا يمكن لأي باحث أن يمر على أبواب البلاغة الثلاثة دون أن يصب جل اهتمامه على قضايا الباب الثاني منه وهو "علم البيان" نظرًا لما يتماثل للقارئ من صور تُجسّد الحركة الحسية والنفسية لمختلف الظواهر المعبّر عنها في الصورة، وهو علم يبحث في دلالات الكلام فهو "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على الخطأ في مطابقة لتمام المراد به"[1].

فالبيان كشف لما وراء المعنى وكسر للحواجز بما يعبّر عن الحقيقة؛ لذا نجد الجاحظ يقول: " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف عن قناع المعنى، هتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها تجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ذلك هو البيان في ذلك الموضع ..."

وتمثل قضايا علم البيان البلاغة من خلال القدرة الهائلة على الصياغة والتصوير والتعبير، وإظهار أغراض نفسية وحسية وحركية لعناصر حية وجامدة فتظهر في صوّر

1 السكاكي، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987م، ص162.

خلابة ونظم دقيق، تشد الأذان إلى استماعها، والعين إلى إبصارها في أسلوب مشرق مشوق يفتن الألباب، ويحرك العاطفة والأذهان.

وهذا ما نجده في التداولية أيضا التي تهتم باللغة من حيث الاستعمال وتبحث في المعنى وكيفية انتاجه وكذا فهمه وتفسيره بضبط اللغة وفهم المعنى في سياق الاستعمال، مما سيُسهم ويُعين في بحث اللغة العربية وقضاياها وطرائق الاستخدام الفعّال لوحدات اللغة وتراكيبها في السياق؛ فالتداولية بعدّها دراسة للغة ومنطق استعمالها، تتقاطع كثيرا مع البلاغة العربية في قضية الاتصال وفي التعبير عن الأغراض والمقاصد.

المبحث الأول: تداولية الحقيقة والمجاز في سر الفصاحة

من المعلوم أن علم البيان هو العلم الذي يتأتى فيه اختلاف الطرق في وضوح الدلالة على المعنى المراد، وأكثر ما يظهر هذا الاختلاف في الدلالة على المعنى المراد في المجاز.

وابن سنان لم يقدّم تعريفا للبيان عدا جعله قرينا لمصطلح الفصاحة في مفهومها اللغوي، بكل ما تحويه من آليات وأساليب تعنى بإلقاء المعاني للقارئ الذي يتولى مهمة البحث فيها، والبيان في تصور الدارسين عبارة عن تقديم الدلالة إلى المتلقي بطرائق متعددة فيها من صفات التعبير الأسلوبي والدلالي والتحويلي والتركيبي ما يطرب الأذن، ويرهف الحسّ ويجذب القارئ ويلفت نظره، مزامنة مع الحضور الواعي لتقنيات توفر للقارئ تلقي النص على مستويين هما: الإقناع والإمتاع[1].

أما الحقيقة في عرف ابن سنان فقدّم لها تعريفا بالضد مع المجاز، لأنها حسبه أكثر ما يقع في الكلام وعليها تكون دلالة اللفظ؛ لذلك لم يولها اهتماما في درسه، عدا ما ظهر من شواهد ساقها لإثبات مخالفتها للصيغ المجازية، وما ظهر من تعريفها كمصطلح عرضا_ في باب الكلام وقوله: "والمفيد من الكلام ينقسم إلى قسمين: حقيقة ومجاز. فاللفظ الموصوف بأنه حقيقة هو ما أريد به ما وضع لإفادته. والمجاز هو اللفظ الذي أريد به ما لم يوضع لإفادته"[2].

1 ينظر، عبد القادر عبد الجليل، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغة**، ص 391.

2 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص67.

- ✓ بمعنى أن الحقيقة هي ما وضع اللفظ بإزائه أول مرة من قبل الواضع لإفادة معناه مباشرة، في حين أن المجاز هو ما تم فيه تجاوز معنى اللفظ الوضعي لمعنى ثان يستفاد منه استنادا إلى مقام الحديث، ويكون معنى ثان لم يوضع له اللفظ في الأصل لكنه يفيده.

فابن سنان يرى أن الكلام يرتبط أصلا بالمعاني التي يوضع لها لتحقيق فائدة ما، وهو قبل أن يوضع لتلك الفائدة لا اختصاص له، ولذلك يختلف المعنى الذي يطلق على الألفاظ من مجتمع لآخر باختلاف لغته، وكأننا به يقول: "لا معنى للكلام إلا في ظل مبدأ الوضع والاستعمال"[1].

فالأساس في الكلام الوضع لفائدة ما، وهو ما لا يكون دون قصد يرتبط به، واستعمال يسير به في ذلك القصد، يقول: "وهو بعد وقوع التواضع، يحتاج إلى قصد المتكلّم له، واستعماله فيما قرّرته المواضعة "[2].

فالملاحظ على ما يبديه ابن سنان استعماله لمصطلحات مهمة، تحمل أبعادًا وظيفية وتداولية مهمة كان قد أشار لها بذكاء، نراها تتحكم في مبدأ الحقيقة والمجاز هي الوضع والمواضعة، والقصد، والفائدة.

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص66.

2 **المصدر نفسه**، ص66.

- أما **الوضع:** فيقصد به ما تُستعمل فيه الألفاظ والكلمات للدلالة على معان وضعت لها مباشر في مجتمع ما، وتأتي أهمية المواضعة في ضبط الكلام وتخصيصه بمعنى ما، من خلال تمييز صيغ الألفاظ وهيئاتها، يقول ابن سنان: " لأنّ فائدة المواضعة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلا أن نأمر قصدناها" بمعنى تأطير الكلمات في المعاني وتراكيب وفق نظام خاص يمكن من تأديتها وظيفيتها[1].

فالوضع في عرف اللغويين والبلاغيين عامة هو دلالة المفردة على معناها الذي تم إطلاقها عليه من قبل واضعي اللغة، وكل خروج عنه هو انتقال دلالي مقصود يحقق شيئا ما، ولا يكون إلا بحسب القصد والاستعمال وهذه وظيفة تداولية مهمة.

لقد اطّرد تقسيم دلالة الألفاظ على المعاني إلى وضعية وعقلية؛ " فاللفظ يدل على معنى إما على سبيل المطابقة، بأن يكون ذلك اللفظ موضوعا لذلك المعنى وبإزائه ...وإما على سبيل التضمن، بأن يكون المعنى جزءًا من المعنى الذي يطابقه اللفظ ... وإما على سبيل الاستتباع والالتزام، بأن يكون اللفظ دالا بالمطابقة على معنى ويكون ذلك المعنى يلزمه معنى غيره "[2].

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص67.

2 أبو علي ابن سينا، **الإشارات والتنبيهات**، ص139.

فكانت الدلالة وضعية صرفة في مطابقة الوضع بإطلاق اللفظ على تمام مسماه من غير زيادة ولا نقصان، "ولا شك في كونها وضعية وإلاَّ امتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع"[1].

وكانت دلالة التضمن والالتزام عقليتين " لأنه انضم فيها إلى الوضع أمران عقليان وهما توقف فهم الكل على الجزء. وامتناع انفكاك فهم الملزوم عن اللازم "[2].

❖ ويمكن إجمال ما ذكر في الخطاطة التالية:

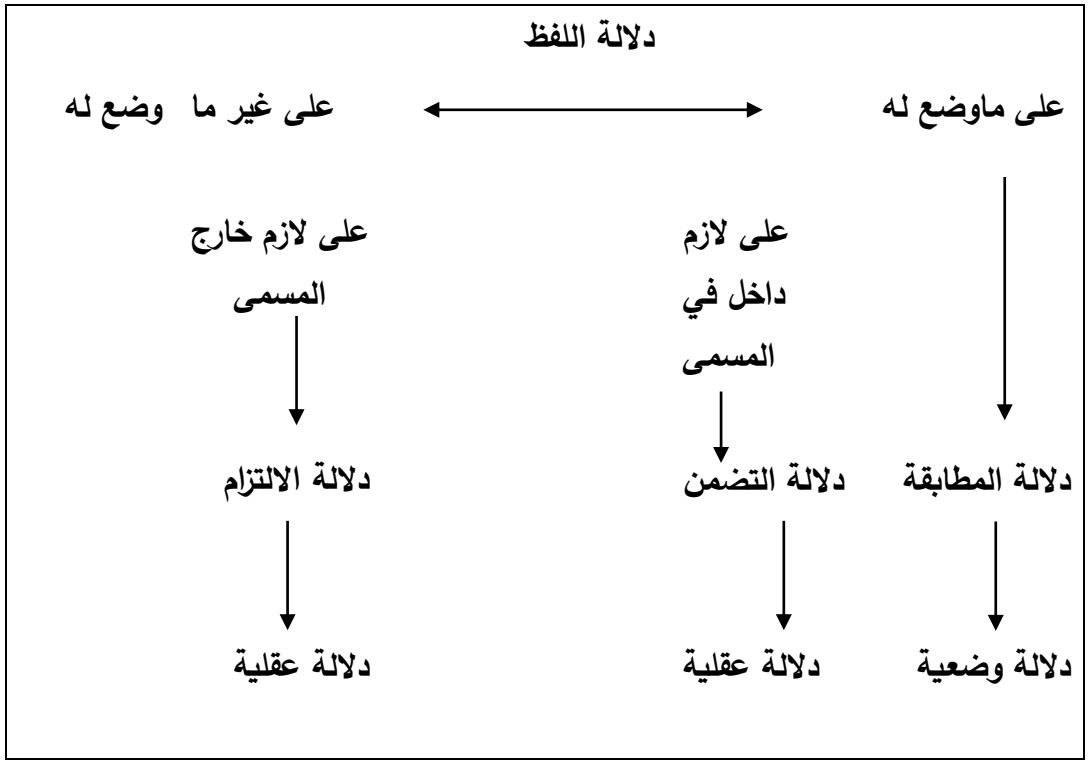

(الصياغة[3] .)

1 فخر الدين الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م، ص87.

2 عبد السلام إسماعيلي علوي، **التجاوز الدلالي والتواصل (متابعة تداولية لتفاعل الإنتاج والتأويل)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، كلية، الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس،(1423_1424هـ)، (2002_2003م)،ص49.

3 يحي بن حمزة العلوي، **الطراز**، دار الكتب العلمية، بيروت، مج1، 1980م، ص38.

- ✓ هكذا قابلت الدلالة الوضعية المباشرة الدلالات العقلية غير المباشرة التي تتمثل في كل ما يمكن فهمه من الملفوظ، ما عدا ما يدل عليه هذا الملفوظ بوضعه، إنها إذن تجمع بين ما كان دلالات تضمنية وما كان دلالات استلزامية .
- ✓ وإن كانت دلالة التضمن تشكل جزءا لا يتجزء من دلالة الملفوظ الوضعية فإن دلالة الالتزام هي نتاج تلازم خارجي أو ذهني لهذه الدلالة الوضعية.

وإن كان " إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية"[1].

- أما **القصد:** فمرحلة خاصة حسب ابن سنان، فبعد المواضعة التي يتم فيها تخصيص الألفاظ بمعان معينة والتراكيب بدلالات واضحة مباشرة، يتم استعمال هذه الألفاظ والتراكيب فيما تقرره هذه المواضعة لتحقيق غاية ما يرومها المتكلم هي ما يسمى بالقصد، فهو استعمال معين للكلمات والتراكيب وفق ما تم التواضع عليه أو بخروج عنه وفق سياقات محددة يرتبط فيها الكلام بمنتجه أو قائله، فالقصد مرتبط بالقائل، وبذلك يتحكم في التراكيب الوضعية ودلالاتها ويستعملها بحسب قصده وغايته، فوراء كل تركيب قصد يريده المتكلم، يقول ابن سنان: " فائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور "[2].

يقصد أن العبارة التي تأتي وفق ما تمّ التواضع عليه في جماعة ما، يكونها منتجها بحسب غاية وقصد يريده، لتُعَبّر عنه، وهنا يمكن للقصد أن يرتبط بدلالة وضعية مباشرة

---

1 أبو يعقوب السكاكي، **مفتاح العلوم**، ضبطه وشرحه؛ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص330.

2 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص67.

يفيدها تكون فيها الألفاظ موضوعة على حقيقتها في دلالتها العرفية التواضعية، ويمكن أن تتجاوزها إلى دلالة أخرى مستفادة من السياق تسمى حديثا دلالة عقلية ودلالة المنطوق وتضم المجاز والكناية. وفيها تتحقق أبعاد وظيفية استدلالية.

- وأما الفائدة: فترتبط بالكلام والمتلقي وهي تحقق بين متكلم وسامع استنادا لما قررته المواضعة المرتبطة بمجتمع ما، والقصد من الاستعمال أيضا، أي أنه لا تكون هناك فائدة ما لم يكن الكلام واضحا ومفيدا ومقصودا لأداء معنى ما، هذه الفائدة تتحقق باحترام ما قررته المواضعة اللغوية وتتحقق بالخروج عنها وفق سياق ما وقصد ما.

✓ فالكلام إما أن يحقق فائدة ما بحيث تدلو الألفاظ والتراكيب على ما وضعت بإزائه مباشرة، أو أن تُحقق الكلمات والتراكيب معنى ما يتجاوز ما تم التواضع عليه لكنه يستعمل وفق قصد وسياق مؤطّر.

✓ بناء على هذه الآليات والتحاليل توصل ابن سنان إلى كون الكلام ضربان:

"مهمل ومستعمل، أما المهمل فما لم توضع فيه الألفاظ بإزاء معنى ما، وأما المستعمل فهو الذي تفيد فيه الألفاظ معاني وضعت لها تحقق بها فائدة "[1].

والكلام المستعمل قسمان: حقيقة ومجاز

1 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص67.

أما الحقيقة ففيها يدل مباشرة على ما وضع لإفادته بالأصل؛ نحو دلالة كلمة أسد على الحيوان المفترس أو النار على خاصية الاشتعال والاحتراق.

وأما المجاز فهو كما يشير ابن سنان ما دل فيه اللفظ على غير ما وضع له في الأصل فهو ما قُصد به غير ما وضع لإفادته، وهنا تبرز وظيفة تداولية في الانتقال الدلالي والتجاوز، ومبنى المجازات على هذا، " فإذا عُدِل باللفظ عما يوحيه أصل اللغة وصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً "[1].

فترى في العدول انتقالا من أولٍ إلى ثانٍ، من معنى حقيقي تُوجبه الدلالة المعجمية إلى معنى غير ذلك الذي يفرضه ظاهر اللفظ. ولنا في المثال الآتي توضيح[2]:

الدال	←	المدلول الأول	← المدلول الثاني.
اللفظ	←	المعنى الحقيقي	← المعنى المجازي.

إنّ مناقشة الخفاجي لمثل ما ناقشه البلاغيون وأقبلوا عليه من صور نصية إبداعية واكتساح للرؤى التخييلية لم يتأتّ من منظور أنه بلاغي ناقد اشتغل على التعابير اللغوية والأدبية ووقف على محاسنها، بل يضاف إلى ذلك كونه شاعرا مجيدا تلبّسه خيال الشعراء

1 عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978م، ص365.
2 السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص360.

وعاش حالة التعبير وهيئة الإبداع حين نقل الصورة الفنية اعتمادا على معنى ثان يقتصد كلّ الدلائل اللغوية والفكرية والشعورية والوجدانية ...التي تغادر الحقيقة في بنيتها السطحية لتموضع القارئ في قيم مختلفة يغور في معانيها ويستقصي أبعادها وأغراضها...

ولذلك جعل الدارسون " فن المجاز " شاملا لعدة مستويات هي[1]:

1_ مستوى دلالي يمثل المعنى الأول ويظهر على مستوى البنية التركيبية المفهومة من مظاهر عملية الإسناد في الأمثلة والشواهد والكلام.

2_ مستوى دلالي ثان يمثل (معنى المعنى) يجسد الدلالة الثانية (الإضافية) التي يصل إليها الذهن بالتأمل والتمعن والإدراك، وتعمل على توكيد الدلالة الإسنادية وتكثيفها وتقويتها.

- و مثل هذا النوع من الطرح أشار إليه العلماء المحدثون أمثال (أوجدن وريتشاردز) اللذين تأثرا بما وضعه " يلمسليف" الذي عدّ المعنى ذا دلالتين متلازمتين، **دلالة تقريرية يمثلها المعنى في حدّ ذاته، ودلالة إيحائية يمثلها معنى المعنى**[2].

وغير بعيد عن ذلك نجد "كوليريدج" " فرّق بين الخيار الأولي والخيال الثانوي، فالأولي هو ما يُمكّننا من إدراك ذواتنا، والثانوي هو ما يعكس ويخلق مركبات جديدة من المعاني، فيجسد النشاط الشعري المتميز"[3].

---

1 ينظر، دلخوش جار الله حسين، **الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني**، دار دجلة، ط1، 2008م، ص323.

2 ينظر، **المرجع نفسه**، ص 323.

3 سامي محمد عبابنة، **رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث**،ص160. نقلا عن ديفيد ريتشس، مناهج النقد الأدبي، تر، محمد يوسف نجم، مراجعة إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1967م، ص 168.

ففي تفريقه بين الحقيقة والمجاز يبني ابن سنان أسسه على مبادئ تداولية؛ هي القصد والفائدة والاستعمال فما استعمل في معانيه على ما تم التواضع عليه يعد حقيقة، وما استعمل فيما لم يوضع إليه وتجاوزه لفائدة ثانية يسمى مجاز وعلى العموم فقد ضمّن الخفاجي أغلب القضايا في "باب وضع اللفظة موضعها" كما أشرنا مراعاة للحقيقة والمجاز فيه، مراعاة لا ينكرها الاستعمال، لذلك لن يختلف منهجه في الدراسة عن التفرقة بين الأساليب بالاستحسان لها أو الاستنكار.

المبحث الثاني: تداولية التشبيه عند الخفاجي:

اخترنا الابتداء بقضية التشبيه مخالفين بذلك منهج الخفاجي في ترتيبه مراعاة لعدة أمور أهمها: إحترام منهجية (علم البيان) في ترتيبها من الجزء إلى الكل كون التشبيه هو البنية المتكاملة للصورة التخيلية التي تتأسس على المادة اللفظية الأولية لتغوص بعد ذلك في تدابير القول لدى المتلقي وفي التغيير الحاصل على مستوى البنية الدلالية، يضاف لذلك أن اهتمام " ابن سنان" بقضية التشبيه باعتبارها خصيصة بالمعنى بعد التصرف اللفظي على أساس أن من وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة والكناية، أما صحة المعنى فذات علاقة بهذا الباب أكثر، وهذا وعي من الخفاجي بغموض الأوليتين عنه " فلما كانت الاستعارة لا تتحقق إلا بحذف أحد طرفي التشبيه كان لابد من أن توضع الألفاظ في الاستعارة موضعها حتى لا تبعد، أما التشبيه فطرفاه موجودان فلا يشترط فيه إلا صحة المعنى عند التشبيه، ولذلك انفرد ابن سنان بهذه الطريقة البارعة في منهجه.

1. التشبيه ومظاهره عند الخفاجي:

إن التشبيه في نظر الخفاجي حسن وضع اللفظ مع صحة المعنى، يقول في تعريفه:« ومن الصحة صحة التشبيه؛ وهو أن يقال أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، ولن يجوز أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر من جميع الوجوه، حتى لا يقع بينهما؛ لأن هذا لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه وذلك محال، وإنمّا الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه، وبالضد حتى يكون

رديء التشبيه ما قل شبهه بالمشبه به »[1]، ولم تختلف هذه الرؤية عما أورده البلاغيون قبله أمثال الجاحظ (ت 255هـ)، وقدامة (ت 276هـ)، والرماني (ت384هـ) وأبي هلال العسكري (ت 395هـ) وابن رشيق (ت456هـ) وغيرهم[2] .

ومثل هذا التفسير لهذا الأسلوب غير المباشر في التعبير يتقاطع مع الطرحين الدلالي والتداولي الحديثين، في جعل الأسلوب منوطا بقضايا الاختيار وحسن المقابلة وبناء التناظر لا على أساس التطابق التام ولا على أساس التناظر بل على أساس تمثيل طرف بآخر، في صفة أو أكثر إذ "يستخدم المتكلم أسلوب التشبيه لإنجاز فعل غير مباشر بعد أن يقوم برصد السمات الدلالية لكل مفردة في معجمه الذهني، ومقابلة كل واحدة بالأخرى، وإسقاط جميع السمات، ويعود ذلك إلى علاقة المشابهة والمماثلة التي تفترض أن يكون هناك شيئان: أصل وفرع، ولضبط العلاقة بينهما يحلل الأصل إلى مكوناته أو مقوماته أو صفاته الذاتية والعرضية فيختار بعضا منها لإسقاطه على الفرع، على أن ما يسقط يجب أن يكون جامعا متفقا عليه بأنه وصف منضبط (...) وهذا ما يقوم به المتكلم في كفاءته التداولية بعملية ذهنية سريعة جدا، إذ يستحضر سمات المشبه أولا، ثم يختار السمة الإضافية التي تميز بها في سياق معين "[3].

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص243.

2 ينظر، عبد المنعم السيد الشحات رزق، **المسائل البلاغية بين ميثم البحراني وابن سنان الخفاجي**، قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية بالمنصورة الدراسات العليا، جامعة الأزهر، 2000م، ص155.

3 علي محمود حجي الصراف، **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي**، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2010م، ص149.

وعلى ذلك فالمفارقة الحاصلة في وجه الشبه هي ما تتحكم بصحة في المعنى، فتجمع المشبه والمشبه به في صورة مشتركة تتراوح بين التقابل والضد.

ثم أشار إلى حروف التشبيه كالكاف وكل ما يجري مجراها، وفائدتها في تحقيق الاقتصاد اللغوي حين الحذف يقول: « وقد يكون بغير حرف على ظاهر المعنى ويستحسن لما في ذلك من الإيجاز »[1].

لقد قامت بنية التشبيه عند الخفاجي على حضور عدة محاور كما وضح ذلك لأجل تحقيق أغراض كالإيجاز أو المبالغة(...) وتكونت لديه من خلال سياقات قرآنية أو شعرية(...) ومال إلى أن الحسن فيه « أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد أو يمثل الشيء بما هو أعظم، أو أحسن، أو أبلغ منه، فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة »[2].

فبؤرة التشبيه عند الخفاجي تتجلى في أهمية وجه الشبه بين الطرفين بعدّها المركز في تمثيل التصور الذهني عند المتلقي لذلك نراه يجعل التشبيه في حسنه يجمع بين أحد أمرين: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة.

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 243.

2 **المصدر نفسه**، ص 243 .

1. مظاهر (أقسام) التشبيه عند الخفاجي:

أ. تمثيل الغائب الخفي –الذي لا يعتاد– بالظاهر المحسوس المعتاد لأجل الإيضاح:

وتكمن غاية هذا الوجه من التشبيه في إيضاح المعنى وبيان المراد، ومن أمثلته عند الخفاجي قوله تعالى:

النوع	المثال	نوع التشبيه	التعليق
مـــــن القرآن الكريم	**قوله تعالى:** ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾[1]	تشبيه مرسل يشمل تشبيه الغائب الخفي _ ما لا تقع عليه الحاسة _ لأجل الإيضاح	ففي الآية تشبيه مرسل يشمل تشبيه الغائب الخفي _ ما لا تقع عليه الحاسة _ وهو " عمل الكفار واعتقاداتهم " بما تقع عليه الحاسة، والمعروف المعتاد وهو " السراب " _ أي ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر_ كأنه ماء " فقد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، ولو قيل: يحبه الرائي ماء، لكان أبلغ، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمآن أشد حرصا عليه وتعلق قلب به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه

1 سورة إبراهيم، الآية 18.

			وأبلغه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالية "[1]. فالصورة احتوت التشبيه دونما حاجة إلى إمعان الفكر وإجهاد النفس في فهمه، بل هي تمثيل يعمل على تقوية المعنى في نفس المتلقي بما تنطوي عليه من مقاربة لطيفة في البنيتين التركيبية والدلالية.

ومقصود الآية يحيل إلى الدلالة على الكذب والخداع والوهم والخيبة وهي صور جمعت بين براعة التصوير، وجودة التعبير الأسلوبي البليغ في تركيب المعنى، فقد قدمت المفردات في علاقتها ببعض، واتساقها فيما بينها هذه الصورة التشبيهية، بما تحمله من دلالة تركيبية (علاقات تركيبية داخلية)، تضاف إلى تفاعل هذه المفردات في البنية القرآنية مع أطراف الحوار في السياق العام (علاقات حوارية)، لتنتج صورة تحمل بعدا دلاليا.

1 محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن وبيانه**، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، (د، ت)، مجلد5، ص 268_285.

ب. تمثيل الغائب الخفي- الذي لا يعتاد- بالظاهر المحسوس المعتاد لأجل المبالغة:

غرض هذا الوجه من التشبيه المبالغة في المعنى وإظهار الدلالة من خلال مقابلة صورة بصورة مكتملة الأبعاد، ويضرب الخفاجي على ذلك شواهد كثيرة منها:

النوع	المثال	نوع التشبيه	التعليق
مـــــن القرآن الكريم	**قوله تعالى:** ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[1]	تشبيه يشمل تشبيه الغائب الخفي _ الذي لا يعتاد_ بالظاهر المحسوس المعتاد لأجل المبالغة	فقد شبه الله في سياق الآية السفن الجارية في البحر بالجبال الراسية الشامخة، والجامع بينهما هو العظمة، فهو تشبيه مؤكد حذف منه وجه الشبه، ذلك أنه « قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة، وقد اجتمعا العظم إلا أن الجبال أعظم، وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر الله من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها، وقطع الأقطار البعيدة فيها » [2]

لقد وقف " ابن سنان" على قيمة التشبيه في الآية بما تحويه من تمثيل نسقي منظم ينم على النظم المناسب لدلالة المبالغة والتعظيم، إذ كان يمكن إيراد ألفاظ بديلة (كالفلك أو

1 **سورة الرحمن**، الآية 24.

2عبد العاطي غريب علي علام، **البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي**، ص161.

السفن) لكن لفظة " الجوار" جاءت لتثبت الدلالة على الإنبهار والقدرة، وهو الأمر مع لفظة (البحر) فلم يقل (اليم أو العباب أو الباحة) ليدل مباشرة على المعنى وهو يقصد السهولة والدقة في النقل والتصوير، وهذا النسق القرآني " حافل أبدا بالقوة والفن والإبداع والاختيار المناسب لكل جزئية من جزئيات التشبيه، بالإضافة إلى أن صور هذا التشبيه الرائعة منتزعة من الحقائق المسايرة لنظام الكون، والموافقة لطبائع الناس، كما أنها كلها صور مما يقع عليه البصر، أو يدركها الفكر بلا غموض ولا إبهام فهي صورة شملت مظاهر هذا الكون بأسره "[1].

استغنى الخفاجي في بداية باب التشبيه عن حضور الشواهد الشعرية لتحتل مكانها الآيات القرآنية في التمثيل على الأوجه التي أراد بيانها، ولعل حرصه على بيانها بما تحويه من أغراض ودلالات في الأسلوب القرآني، يعود لما يضمه من " صورة مستجدة، تزيده قدرا ونبلا، وتوجب له فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحدة من تلك المواضع شأن منفرد، وفضيلة مرموقة وخلابة مرموقة "[2].

ثم يردف على ذلك بجملة من الشواهد الشعرية التي تتراوح بين ذكر الأداة وتكرارها في القصيدة وبين حذفها في سياق إقامة التحولات داخل النص، وبين تتابع الشعراء في بناء القصائد، اعتمادا على ما قيل قبلا منهم، لتتقابل الصور اللفظية والمعنوية وتكشف

1 صلاح الدين عبد التواب، **الصورة الأدبية في القرآن الكريم**، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار بونار للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1995م، ص51.

2 **المرجع نفسه**، ص59.

الأساليب التعبيرية عن البراعة التي تحضر في بيت دون آخر وعن الصورة التي يبدع فيها هذا عن ذاك، وبناء على ذلك تكون درجات الفصاحة.

وبالعودة إلى سياق ذكره الخفاجي في بداية حديثه عن بلاغة حذف الأداة في التشبيه، نجد إشارة ضمنية إلى التشبيه البليغ، وعرض أمثلة عنه كإشارة إلى أهمية اللغة الشعرية التي تستغني عن حاجتها للأداة، لتعرب عن طاقاتها في التعبير والإيجاز والحذف، كون ذلك " ينهض برهانا على مقدرة الشاعر الإبداعية وفطنته العقلية "[1]، يضاف إلى ذلك ما يبثه من إعجاب نفسي لدى المتلقي بنقله من عالم المقابلة الحقيقية بين الألفاظ والعبارات في المعجم اللغوي إلى واقع الإيجاز والاختزال في الصياغة والتشكيل الدلالي وتفعيل ذلك في حركة النص وإنتاجيته.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى عدم تفرقة الخفاجي بين مصطلحي (التشبيه والتمثيل) وهو ما ورد في أغلب كتب البلاغة قبله، على عكس ما طرحه المتأخرون وما استنتجه المحدثون من ضرورة التفرقة بينهما.

ويصنف الدرس اللساني الحديث التشبيه ضمن القضايا التي تنأى بالمعنى من المباشر إلى غير المباشر لحاجة في نفس المتكلم ووفق السياق المعطى، ولذلك يجعلون في أسلوبه خرقا لقاعدة الكيف التي تنص على أن الاستعمال النصي يتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة بطريقة غير مباشرة، ليقدم في النص نظرة إزدواجية تبدو فيها المقابلة

1 سمير أبو حمدان، **الإيلاغية في البلاغة العربية**، منشورات عويدات الدولية، بيروت، ط1، 1991م، ص151.

ضربا من الإبداع وخرقا للدلالة، يتم فيها كتم العلاقة بصورة إضمارية تسيطر على العبارة وكيفية أدائها، وعليه تتأسس البنية الحوارية على الكيف دون الكم[1].

إن مبادئ الفصاحة التي يطرحها ابن سنان الخفاجي تسعى إلى المحافظة على مبدأ المحادثة بين أطراف العملية التواصلية، وفق سياقات تعبيرية لأداء أغراض معينة كالمدح أو الذم أو التعظيم أو السخرية.

2. التشبيه والتمثيل عند الخفاجي:

لم تستقر مباحث البلاغة إلا مع درس الجرجاني ومن تلاه أين اكتملت الرؤية لكثير من القضايا منها (باب التشبيه التمثيلي) الذي لا نكاد نقع على ما يثبته في كتاب " سر الفصاحة " على اعتباره مصطلحا تابعا للتشبيه عند ابن سنان الخفاجي كوّنه يفرده في موضعين من الكتاب، كل منهما يختص بدلالات خاصة لفهم الخفاجي وتقييده لها بمصطلح (التمثيل):

ـ أما الأول: فأورده في باب (صحة المعاني) في قوله: « وأما الاستدلال بالتمثيل: فأن يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له » [2]

وليس من فروق تذكر في وصف الخفاجي وغيره من البلاغيين في هذا النوع من التشبيه (التشبيه التمثيلي) عدا اصطلاحه عليه بلفظ الاستدلال، ولعل الذي دفع ابن سنان إلى وضع هو وقوفه على الدلالة التعددية في بنية هذا التشبيه دون غيره، فهو تشبيه ينهض

1 بنعيسى أزابيط، **مداخلات لسانية "مناهج ونماذج"**، شركة الطباعة مكناس، المغرب، ط2، 2008م، ص68.
2 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص266.

على حمل لفظ على آخر على أساس المشابهة الحاصلة بين أطرافه، ومن أمثلته قول الشاعر:[1] [**البسيط**]

لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمُ وَالْعَذْبُ يَهْجُرُ لِلإِفْرَاطِ فِي الخَصْرِ

يقول: " فدل على زيادة فيما يطلب ربما كانت سببا للامتناع منه، بتمثيل ذلك بالماء الذي لا يشرب لفرط برده، وإن كان البرد فيه مطلوبا محمودا "[2]، فاستشهد " ابن سنان" على هذا التشبيه بما يوضحه ويبرز جمالية التعبير والبعد عن الإغماض فيه.

وما يجب أن يقال أن "ابن سنان" اكتفى في باب(التشبيه) بتقسيمه إلى نوعين: (حسَن مختار ورديء قبيح)، وقد أخرجه من دائرة " المجاز"، واكتفى بالإشارة إلى علاقات المشابهة الحاصلة في الشواهد التي ساقها، وقد أورد لكل نوع مثاله على حدة، دون أن يشير لاسمه، ولأن البحث في جمعها وتصنيفها يخرج الدراسة عن أهدافها، فنحن نتجنب ذلك ونكتفي بما تمت الإشارة له.

_ **وأما الثاني:** فالتمثيل التركيبي (الاستعارة التمثيلية) عند " ابن سنان الخفاجي":

وهو النوع الثاني الذي أورده الخفاجي في باب (نعوت الفصاحة والبلاغة)، دالا فيه على (التمثيل) وعرفه بقوله:«أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود، وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الإيجاز أن تمثيل

1 أبو العلاء المعري، **ديوان سقط الزند**، دار صادر، بيروت، 1376هـ-1057م، ص56.

2 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص266.

المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة، وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم، لأن المثال لابد من أن يكون أظهر من الممثل، فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه »[1].

ويشير قوله بهذا المفهوم إلى "الاستعارة التمثيلية" أو "المجاز المركب" وهي استعارة تعتمد التكثيف التصويري داخل التركيب وهذا ما ينتج عنه معنى قوله: "وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الإيجاز أن تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة "، نظرا لما تفرد به من تعبير صياغي مشحون دلاليا، ويهدف مثل هذا النوع من المجاز إلى تحقيق الوضع النوعي التعددي في التركيب لا الإفراد المجازي.

فالتمثيل " وجه منتزع من متعدد، وهو مجاز ينتقل فيه من حالة لأخرى على وجه المبالغة بإدخال جنس الأولى والثانية في الأولى، وهذا الصنيع هو الذي نجده في الاستعارة "[2].

* ومن الأساليب التي استدل بها الخفاجي قول الشاعر:[3] [الطويل]

أَلَمْ تَكُ فِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتَنِي فَلاَ تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَا

يقول الخفاجي: " فأراد: إني كنت عندك مقدما فلا تؤخرني، ومقربا فلا تبعدني، فعدل في العبارة عن ذلك إلى أني كنت في يمينك، فلا تجعلني في شمالك، لأن هذا المثال أظهر

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص231.

2 عبد الجليل ناظم، **البلاغة والسلطة في المغرب-أحمد بن محمد بن يعقوب الولاّي-**، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2002م، ص90.

3 ابن ميادة، **شعر ابن ميادة**، جمع وتحقيق: دكتور حنا جميل حداد، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1982م، ص182.

إلى الحس "[1]، وتحضر عناصر هذا أشار إليه الخفاجي لتتلاقى مع مفهوم الاستعارة التركيبية أو التمثيلية كما بيّنا.

وهذا ما نلحظه أيضا في الأمثلة النثرية التي ساقها " ابن سنان " للاستدلال على التمثيل فقال: « ومن أمثلة ذلك في النثر ما كتب به الوليد بن يزيد _ لما بويع _ إلى مروان بن محمد قد بلغه توقفه عن البيعة له: أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئت والسلام »[2].

_ يشتمل الشاهدان السابقان على عدة مستويات من الزاوية الاستدلالية نشير لها كما يلي[3]:

- ✓ احتواء الخطاب على صورتين: الأولى عقلية (التردد/الحيرة)، والثانية حسية (تقدم، تؤخر).
- ✓ الجامع بينهما ما يقبل من الصورة التركيبية التي هي كون كل منهما له مطلق الإقدام بالانبعاث لأمر في الجملة تارة، والإحجام الحاصل بترك الانبعاث تارة أخرى.
- ✓ ما يجمع بين الصورتين أمر عقلي ومركب باعتبار تعلقه بمتعدد، لأنه هيئة اعتبر فيها إقدام متقدم وإحجام مستعقب.

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص231.

2 **المصدر نفسه**، ص232.

3 ينظر، عبد الجليل ناظم، **البلاغة والسلطة في المغرب-أحمد بن محمد بن يعقوب الولاي-**، ص190.

- ✓ ألفاظ التمثيل في التركيب على أصلها في الإفراد، وتستلزم الدلالة المجازية في المجموع، فلا معنى للفظتي تقدم أو تؤخر تمثيليا إلا في هذا التركيب (لذلك صنف الخفاجي النوع في باب الكلام المؤلف في شروط فصاحته).
- ✓ حجاجية الخطاب وحضور دلالتي الإيجاز والمبالغة تعكس القوة الإنجازية الكامنة فيه، والتي تظهر في صورة التحريض أو التهديد على الإقدام في أفعال الخطاب الموجه للمتلقي (فاعتمد على أيّهما شئت والسلام).
- ✓ حضور السياق العام كدلالة تعمل على توضيح مقاصد الخطاب، وتكشف الأفعال المضمنة فيه، ويظهر ذلك في قوله: (...ما كتب به الوليد _ لما بويع _ إلى مروان بن محمد قد بلغه توقفه عن البيعة له)، وهو سبب مسبب لدلالة التّردد.

فمثل هذا التمثيل يتخطى المفردة إلى التركيب وهو أمر جائز في التركيب الاستعاري الذي يحق له التموقع بين المستويين، ولقد أحسن ابن سنان عندما جعل حديثه عن الاستعارة على موضعين، أولهما الاستعارة المفردة التي ضمنها باب (حسن وضع الألفاظ موضعها) فاهتم فيها بدلالة الألفاظ، وثانيهما الاستعارة المركبة (التمثيلية أو المجازية) التي صنفها في باب (نعوت الفصاحة والبلاغة في الكلام المؤلف)، وهذا راجع لاختلاف الرؤية بينهما، وإنه من الإجحاف جعل التمثيل وصفا تشبيها عند ابن سنان والفرق بينهما– كما بيّن– واضح.

ويمكن إدراج هذا النوع عند الخفاجي ضمن ما اصطلح عليه بالاستعارة " التصريحية " لا التشبيه " فالتمثيل عنده ليس تشبيها مركبا كما عند الجرجاني ومن جاء

بعده، ولكنه تشبيه طوي مشبهه واكتفى بالمشبه به، أي استعارة تصريحية "[1]، والحقيقة أنه تمثيل يجيء على هيئة الاستعارة يتم فيه النقل عن الصورة الأصلية، كما هو واضح في المثال السابق إذ المقصود من قوله (تُقدّم رجلا وتؤخّر أخرى)، الدلالة على صفة التردد والتقدير: " أراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ثم اختصر الكلام، وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة، وهذه استعارة تمثيلية تصريحية "[2].

فالمتأمل في البنية التركيبية يدرك جيدا كيفية إسهام المقام في الكشف عن دلالة الحقيقة (المعنى)، بعد التشكيل الاستعاري الحاضر في بنية النص، وبديهي أن المقام قد يثبت أن الكلام حقيقة وليس الاستعارة، تحضر فيها الأوصاف المقامية للاستعارة لعدم تعلقها باللفظ وحده، بل إن حضور التركيب وغياب المشبه والأداة يجعلها استعارة تصريحية في عرف الخفاجي، وهو الأمر الذي أكد عليه الجرجاني والسّكاكي بعده[3].

وما تجدر الإشارة إليه أن نظرة العلماء لهذا الفن قد اختلطت فمنهم من عد هذا الصنف البلاغي فنا تشبيهيا، ومنهم من عده استعارة، ومنهم من جعله كناية يدخل فيها وصف المثل وطبيعته، لكن الأقرب يتراوح في صورة الاستعارة التركيبية التي تستدعي علاقة المشابهة في بنائها التركيبي النظمي الذي يستوفي العلاقات السياقية في طريقة إثبات

1 محمد العمري، **البلاغة العربية أصولها وامتدادها**، افريقيا الشرق للنشر، المغرب، ط2، مج1، 2010م، ص442.

2 عبد العاطي غريب علام، **البلاغة بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي**، ص170،171.

3 ينظر، محمد الولي، **الصورة الشعرية في الخطاب النقدي والبلاغي**، ص 97، 96. وينظر عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص68،69. وينظر السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص484.

الدلالة وتقريرها كما هو حاصل في المثال السابق أين تجري مقارنة الصورة التمثيلية بالحقيقة لتبيان مواطن الجمال والميزات الدلالية.

وهو ما يؤكد عليه الخفاجي في قوله: "فعبر عن مراده بمثال أوضحه وأوجزه"[1]، فيرجع أسباب الكثافة الدلالية الظاهرة في السياق إلى تجاوز المتكلم للبنية اللفظية لتكمن قوة التمثيل في البنية الباطنة المضمرة التي تحضر في المثال أظهر وأوضح وأبلغ وأبين من الممثل، ولكل ذلك ارتباط وثيق بحسن الفصاحة والبلاغة.

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص232. وينظر، دلخوش جار الله، **الثنائيات المتغايرة**، 335، 336.

المبحث الثالث: تداولية الاستعارة عند ابن سنان

أولا: الاستعارة عند ابن سنان:

تعد الاستعارة من القضايا التي تناولها "ابن سنان" في القسم التي تحدث فيه عن (حسن وضع الألفاظ في مواضعها)، فبحث عن أوجه المناسبة فيها.

يقول **" ابن سنان"** في تعريفها نقلا عن **" الرماني ":** « ومن وضع الألفاظ في موضعها حسن الاستعارة، وقد حدها **" أبو الحسن الرماني"** فقال: « هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبادة... ولا بد من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها؛ لأن الحقيقة لو قامت مقامها كانت أولى، لأنها الأصل والاستعارة الفرع » [1].

ـ وهو يعني الخروج بلفظها من التعبير المباشر إلى غير المباشر في صورة المشبّه والمشبه به ووجه الشبه والأداة، وقد قسّم **"ابن سنان"** حديثه عن الاستعارة إلى نوعين التأثير والقبول من جهة والرّد والرفض من جهة ثانية، وغايته بذلك تحديد دورها في فصاحة الكلام.

ـ وقد كان المعيار عنده مدى التأثير والتفاضل على المستوى البياني الذي تأتي الصورة فيه تماثلا لعنصر لغوي مجسَد للواقع، ونجد ملامح هذه الفكرة عند الجرجاني الذي عبّر عن مقامات تلقّيها لدى المخاطبين قائلا: اعلم أنّ من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشّديد، أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العاميّ

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص134.

المبتذل...والخاصيّ النّادر الذي لا تجده إلاّ في كلام الفحول، ولا يقوى عليه إلاّ أفراد الرّجال[1] .

ـ إن أغلب تعريفات الاستعارة تنسب إليها الحضور في علاقة مشابهة جمعتها مع وحدات لغوية نقلت المعنى من الحقيقي إلى غيره، بوجود ما يدل على ذلك، فالاستعارة هي " استخدام الوحدة اللّغوية خارج حدودها التي وضعت (أصلا) لها، مع ضرورة وجود (قرينة) (ملفوظة) في النص، أو (ملحوظة) من خلال السياق تعمل كصمّام الأمان تمنع من إرادة الدلالة الوضعية الأصلية " [2].

ويقتضي اللجوء إلى توظيف الاستعارة حاجات مقامية تتطلبها عملية التواصل على أساس أنها إغماض للحقيقة وأنها أبلغ منها في مواضع كثيرة، وهي حسب دارسي التراث تقتضي بيانا لا تنوب منابه الحقيقة، فالمتكلم يعدل عن الثانية للأولى لأجل تحقيق مقاصد بلاغية معينة، تكون أقوى تأثيرا في المستمع كونها تشحن بطابع المبالغة في بنائها لهيئة (المشبّه) في نفس المستمع بصورة تحدث لديه إعجابا أو استحسانا أو مبالغة أو تأكيدا[3].

ـ لقد أدرك الخفاجي قيمة التركيب الاستعاري وأهميته في البلاغة العربية، وهو ما تثبته كثافة التمثيل وضرب الشواهد في الكتاب، الأمر الذي يؤكد على أنها أسلوب لا يرجع الاهتمام به إلى ما يحويه من علاقات التماثل والتشابه وما يحمله اللفظ من معان ضمنية،

1 عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص74.

2 عبد القادر عبد الجليل، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية**، ، ص455.

3 ينظر، رشيد يحياوي، **التبالغ والتبالغية نحو نظرية تواصلية في التراث**، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2014م، ص396.

بل تجاوزت ذلك إلى التركيز على القيم الفعلية والواقعية التي تحققها من خلال بث الحياة والحركة في الجماد وسكونها في المتحرك.

عدا عن ذلك ما تجسّده من مشاعر وأحاسيس ورؤى " فهي قوام التعابير البيانية المبنية على التشابه وإظهار فكرة ما، ضمن فكرة أخرى أكثر وضوحا وشهرة منها، لا يربطها بها إلا نوع من التطابق والتماثل، وهي تقتصر من حيث الشكل على الاستعارة فقط "[1].

ثانيا: تقسيم الاستعارة عند ابن سنان:

- أما " ابن سنان " فيقسم الاستعارة إلى ثلاث أقسام:

أ. الاستعارة حسنة

ب. الاستعارة المبنية على استعارة أخرى

ج. الاستعارة القبيحة

تتقدم شروحات الخفاجي للاستعارة جملة من الآيات القرآنية التي اختارها للاستدلال بها، وقد جعلها أعلى صور الإبداع والصياغة كونها تبدي دلالات إيحائية وتأثيرية على الملتقى الذي يتفاعل معها ويحاول فهم معانيها وتحليل أبنيتها؛ لذلك نراه مؤكدا على بلاغة وفصاحة بيان القرآن في استعارته. فالاستعارة لو بدت حسبه على معناها الحقيقي لأدت

1 جوزيف ميشال شريم، **دليل الدراسات الأسلوبية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984، ص72.

المعنى المراد لكن دون ظهور جوانب الإبداع والتفرد أو ظهور مؤشرات المبالغة والغلو أو الإيجاز.

1. الاستعارة الحسنة:

ويرى أن الاستعارة الحسنة لها تأثير في فصاحة الكلام، وعلقة وكيدة بسمو نظمه، وقد اصطلح عليها اسم " **القريب المختار**" وهو« ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه واضح» [1].

وهو مقيد بأغراض المتكلم التي يريد أدائها؛ وأوّل ما بدأ به " ابن سنان" من التمثيل على حسن الاستعارة هو قوله تعالى:﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ [2]

فيبيّن أركان الاستعارة في الآية معتبرا لفظ: الاشتعال (مستعارا)، والنار (مستعار منه)، والشيب (مستعار له).

ثم يقول في مقاربة التركيب الاستعاري: "وتفسير الجملة(...) استعارة لأن الاشتعال للنار ولم يوضع في أصل اللغة للشيب، فلمّا نقل إليه بأن المعنى لما اكتسبه من التشبيه، لأن الشيّب لّما كان يأخذ في الرّأس ويسعى فيه شيئا فشيئا حتّى يحيله إلى غير لونه الأول، كان بمنزلة النار التي تشتعل في الخشب وتسري حتّى تحيله إلى غير حال المتقدمة، فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان، ولا بدّ من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل

1 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص110_135.

2 **سورة مريم** الآية (04).

التشبيه العارض فيها؛ لأنّ الحقيقة لو قامت مقامها كانت أولى، لأنّها الأصل والاستعارة فرع، وليس يخفى على المتأملّ أنّ في المثال:

النوع	المثال	نوع الاستعارة	التعليق
مـــــــن القرآن الكريم	**قوله تعالى:** ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾[1]	استعارة حسنة	أبلغ من _كثير شيب الرّأس_ وهو حقيقة هذا المعنى"[2]. _ لقد حاول "ابن سنان" من خلال هذا القول إيضاح مقاصد الآية الكريمة ودور الاستعارة المكنية فيها من إسناد الاشتعال إلى شعر الرّأس وإخراج الشيّب، وهو أكبر شاهد على بلوغ أعلى درجات البلاغة والفصاحة.

يضاف الى ذلك أن ما أوضحه " ابن سنان" لا يتنافى مع ما وضّحه الدارسون من أنّ هذه الاستعارة الخيالية تشمل وجوها أربعة كانت سببا في مجيئها على هذه الشاكلة، وهي[3]:

دلالة	في لهيب النار.
السرعة	سرعة انتشار الشيب في الرّأس.

1 **سورة مريم** الآية 4.

2 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص134.

3 ينظر: محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، (د.ط)، (د.ت)، مج 4، ص 569-570.

تعذر المقاومة	صعوبة السيطرة على النّار إذا اشتدّ لهيبها، لذا يلجأ إلى التصدي لها بالماء. صعوبة مقاومة شيب الرّأس المتمرد ومقاومته بالأصباغ.
الألم	الألم الذي تحدثه النار في المحترق بها (حسي). الألم الذي يحدثه الشيب في المشيب عند تقدم السن(معنوي).
المصير	مصير النار إلى الخمود. مصير الإنسان إلى الهرم والموت.

وعليه فإن الاستعارة لو وردت بمعناها الحقيقي – كما أشار ابن سنان – لأدّت المعنى المطلوب لكن دون ظهور جوانب الإبداع والتفرد خاصة في دلالة المبالغة، يضاف إلى ذلك حضور عنصر التقابل الذي يفرضه الحضور الاستعاري الأبلغ من الحقيقة، فالبنية الدلالية حاضرة بقوة في الأسلوب البياني الاستعاري في تشكلاتها اللغوية وهذا ما ظهر عند الجرجاني لاحقا واصطلحت عليه الدراسات بمصطلح (مبدأ الطاقة الإيحائية) كمقياس أساس في تحديد الفروق فيها، يضاف إلى ذلك أيضا أن أحدث النظريات في علم الدلالة قد اعتمدت المبدأ ذاته في الكشف عن الظواهر اللغوية داخل السياق المجازي[1].

ولبلاغة التعبير المجازي المستقر في الآية جعل الخفاجي إياها أول الشواهد على الاستعارة لما تحويه من معان تقابلية، فهي تعبير موجز «يكسب المستوى الدلالي غزارة وقوة، والمستوى السطحي اقتصادا وإيجازا في إنفاق المفردات» .[2]

1 ينظر، دلخوش جار الله، **الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دراسة دلالية**، ص 333.

2 **المرجع نفسه**، ص333.

وبربط الآية مع سياقاتها النصية نحصل على دلالات تخضع لطبيعة المقام:

- " قال رب إني وهن العظم مني ": (دلالة الكبر والضعف والوهن).
- " واشتعل الرأس شيبا ": (دلالة المبالغة في الوصف).
- " ولم أكن بدعائك رب شقيا ": (دلالة الرجاء والأمل).

وبناء على ما تقدم فإن حضور المعاني الإيحائية في الأسلوب الاستعاري _ كما أشرنا _ يسهم في تكثيف الدلالة وتحقيق الوظيفة الشعرية.

_ ومن الشواهد التي أوردها الخفاجي للإشارة إلى حضور الأغراض الدلالية في سياق الآيات نذكر[1]:

النوع	المثال	نوع الاستعارة	التعليق
من القرآن الكريم	**قوله تعالى:**﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[2]	استعارة حسنة دلالة التحذير بالإهمال	لأن حقيقتة – عمدنا – ولكن قدمنا أبلغ؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر؛ لأنه عاملهم من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم به، والمعنى الذي يجمعهما العدل؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل، والتعبير بالقدوم أبلغ، وأما (هباء منثورا) فبيان

1 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 135-136.

2 **سورة الفرقان**، الآية 23

			قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة[1]. واستعارة _قدمنا_ إلى –عمدنا– استعارة تصريحية تبعية.

النوع	المثال	نوع الاستعارة	التعليق
من القرآن الكريم	**قوله تعالى:** ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾[2]	استعارة حسنة دلالة زيادة البيان	يقول " ابن سنان" « لأن انسلاخ الشيء عن الشيء هو أن يتبرأ منه ويزول عنه حالا فعالا، وكذلك انفصال النهار عن الليل، والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من زيادة البيان» [3]. _ والاستعارة في قوله تعالى: { نسلخ } وهي استعارة تبعية، شبهت إزالة الضوء عن المكان الذي فيه ظلمة الليل بكشط الجلد عن الشاة ونحوها، والجامع بينهما ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خافيا: فيكشط الجلد ويظهر لحم الشاة، وبغروب الشمس تظهر الظلمة التي هي الأصل، والنور طارئ

1 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص139، والنكت للرماني **في إعجاز القرآن**، دار المعارف، تحقيق: محمد خلف الله زغلول سلام، مصر، ط3، ج1، 1976م، ص86 .

2 **سورة يس**، الآية 37.

3 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص139، والنكت للرماني **في إعجاز القرآن**، ص89.

			عليها، يسترها بضوئه، ثم استعير السلخ للإزالة ثم اشتق من السلخ: نسلخ بمعنى نزيل، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة هنا هي إيقاع السلخ على النهار.

النوع	المثال	نوع الاستعارة	التعليق
من القرآن الكريم	**قوله تعالى:** ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[1]	استعارة حسنة دلالة التمرد	لأن حقيقته عاتية شديدة، والعتو أبلغ لأنه شدة فيها تمرد.

النوع	المثال	نوع الاستعارة	التعليق
من القرآن الكريم	**قوله تعالى:** ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[2]	استعارة حسنة دلالة الترويح عن النفس	لأن تنفسها هنا مستعار وحقيقته بدأ انتشاره وتنفس وهو أبلغ.

1 **سورة الحاقة**، الآية 6.

2 **سورة التكوير**، الآية 18.

النوع	المثال	نوع الاستعارة	التعليق
مـــــــن القرآن الكريم	**قوله تعالى:** ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾[1]	دلالة العلو	وحقيقة طغى، علا، والاستعارة أبلغ، لأن طغى علا قاهرًا.

من أمثلة الاستعارة الحسنة التي ساقها الخفاجي في الشعر العربي نذكر:

* قول الشاعر الرّضي:[3]

رسَا النَسِيمُ بَوَادِيكُمْ ولاَ بَرَحَتْ حَوَامِلُ الْمزنُ فِي أَجْدَاثِكُمْ تَضَعُ

وَلاَ يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ تُرْضِعُهُ على قُبُورِكُمُ الغُرَاضَةُ الهَمُعُ

يقول: « فمن أحسن الاستعارات وأليقها، لأنّ المزن تحمل الماء وإذا هملت وضعته فاستعارة الحمل لها والوضع المعروفين من أقرب شيء وأشبهه وكذلك قوله_ جنين النبت _ لأن الجنين المستور مأخوذ من الجُنّة، وإذا كان النّبت مستورا والغيث يسقيه كان ذلك بمنزلة الرّضاع، وكانت هذه الاستعارات من أقرب ما يقال وأليقه » [4].

1 **سورة الحاقة**، الآية 11.

3 ينظر: ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص139.

4 **المصدر نفسه**، ص139.

النوع	المثال	نوع الاستعارة	التعليق
من الشعر العربي	قول طفيل الغنوي: وَجَعلْتَ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَة يَقْتَاتُ شَحْمُ سِنَامُهَا ٱلرَّحْلُ	استعارة حسنة	ويعلق "ابن سنان" على هذا البيت بقوله: (فإن استعارة هذا البيت مرضية عند جماعة العلماء بالشعر؛ لأن الشحم لما كان من الأشياء التي تقتات، وكان الرحل يتخونه ويذيبه كان ذلك بمنزلة من يقتاته، وحسنت استعارته القوت للقرب والمناسبة والشبه الواضح)[1]. وهذه استعارة مكنية حيث شبه الرحل في ذوبانه الشحم بمن يقتات، وحذف المشبّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو لفظ " يقتات " وهي استعارة حسنة لوجود القرب والتناسب بين المستعار منه وهو" من يقتات " وبين المستعار له وهو " الرحل ".

1 ينظر: ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص111.

وقد اعتمد الخفاجي في تحليل البيت على الرصف الحاصل بين المفردات، فجاءت الصورة الاستعارية قائمة على مبدأ التقابل القائم بين المتشابهات، أي بين:(الحمل والوضع)، (الجنين والرّضاع)، ويمكن توضيح ذلك كالآتي[1]:

الحمل		الوضع		الجنين		الرّضاع	
حمل الماء	حمل المرأة	وضع ثقل	وضع المرأة طفلا	مستور عموما	مستور في البطن	سقي النّبات	سقي الطفل

وقد تضمّن البيت الشعري استعارات ثلاث:

المثال	نوع الاستعارة	التعليق
رسا النسيم بواديكم	استعارة مكنية	حيث شبه النسيم بالشيء الذي يرسو ويتوقّف، فذكر المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية، وهي من أفضل الاستعارات نظرا لكثافة التعابير فيها وقوة الأسلوب من خلال بعث الحركة في الجماد.
حوامل المزن في أجداثكم تضع	استعارة مكنية	حيث شبّه جريان المياه وركودها فيما بعد بالمرأة الحامل إذا وضعت مولودها، فذكر

1 ينظر: محمد العمري، **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، ص 447_448.

		المشبّه (حوامل المزن) وحذف المشبّه به (وضع المرأة).
ولا يزال جنين النّبت ترضعه العراضة الهمع	استعارة تصريحية	حيث حذف المشبّه وهو (الرّضيع الصّغير) وترك ما يدّل عليه وهو (جنين النّبت ترضعه).

وإذا ما عدنا إلى تأمل البيتين جيّدا ظهرت لنا العناصر الاستبدالية المنظومة على محوري (الاختيار والتوزيع) لتحقق علاقة المشابهة الرابطة وهي (نسيم، البادية، المزن، الأجداث، الجنين، الحوامل، الرّضاع، القبر، العراضة، الهمع...) وكلها صور تشكل صورًا أخرى تقف وراءها، وتبرز قدرة الشاعر على توظيف الإيجاز في أسلوب استعاري غاية في السّبك والوضوح والدلالة على الغرض.

2. الاستعارة المبنية على استعارة أخرى:

" ابن سنان " يذكر نوعا من الاستعارات يجعلها وسطا بين المحمودة والمذمومة، وهي "الاستعارة المبنية على استعارة أخرى"، هي الضرب الثاني من أضرب التركيب الاستعاري عند الخفاجي، ومدلولها أنها تحمل مناسبة بين (المستعار والمستعار منه)، يقول: «وهي على ضربين، قريب مختار، وبعيد مطرح، فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه واضح، والبعيد المطرح إما أن يكون لبعده مما استعير له في الأصل أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة، فتضعف لذلك، والقسمان معا يشملهما وصفي بالبعد، لكن هذا التفصيل يوضـــح وإذا ذكرت الأمثلة بأن القريب من الاستعارة من

البعيد وعرف المرضي منـــها، والمكروه، وتنزلت الوسائط بينهما بحسب النسبة من الطـرفين» [1].

يبدو للمتأمل في العبارة أن الخفاجي قد ضمن ضربي الاستعارة ضربا بلاغيا آخر يمكن إدراجه منزلة التوسط بين ما يقبل من استعارات وما يرد منها، وهو تضمين ساقه الخفاجي في سياق رده على الآمدي حين تخريجه لبيت امرئ القيس:[2] (الطويل)

النوع	المثال	نوع	التعليق
مـــــــن الشعر العربي	قول الشاعر : وَلَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لَيَبْتَلِي فَقُلْتُ لَهُ لمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِه وَ أَرْدُفَ أَعْجَازَا ونَاءَ بِكَلْكَلِ.	استعارة مبنية على استعارة أخرى	والشاهد في البيت الثاني وقد ذكر " ابن سنان" أن " أبا الحسن بن بشر الآمدي " قد مدح هذه الاستعارة – أي المبنية على أخرى في البيت المذكور – وقال إنها في غاية الحسن والجودة والصحة؛ لأنه إنما قصد أحوال الليل الطويل، فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف أعجازه وأواخره شيئا فشيئا. _ رفض " ابن سنان" تقبل ذلك وأنزل البيت منزلة التوسط بين الحسن

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص135.

2 امرئ القيس، **الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مج1، ط4، 1984م، ص117.

			والرديء، يقول:" وبيت امرئ القيس عندي ليس من جيد الاستعارة ولا رديئها "[1]، ويعزو السبب في ذلك إلى كون الصورة الاستعارية مبنية على أوصاف متتالية يتبع الواحد فيها الآخر.

يقول: " وإنما قلت ذلك لأن أبا القاسم قد أفصح بأن امرئ القيس لما جعل لليل وسطا يمتد وأعجازا رادفة للوسط وصدرا متثاقلا في نهوضه، حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب، وجعله متمطيا من أجل امتداده؛ لأن تمطى وتمدد بمنزلة واحدة، وصلح أن يستعير للصدر اسم (الكلكل) من أجل نهوضه، وكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض، فذكر الصلب إنما حسن لأجل العجز والوسط، والتمطي لأجل الصلب، والكلكل لمجموع ذلك، وهذه الاستعارة مبنية على غيرها فلذلك لم أر أن أجعلها من أبلغ الاستعارات وأجدرها بالحمد والوصف"[2]، والحقيقة أنّ استغراق جزء من ذهن الشاعر وبناء جزء عليه غير معيب وهذا ما أكد عليه جل البلاغيين كالآمدي والجرجاني.

ـ كما رفض الدارسون توجه الخفاجي في تهوينه من شأن الاستعارة المرشحة وردوا ذلك إلى تمسكه الشكلي بطابع القرب والمناسبة " وهو تمسك غطى على صاحبه القيمة الفنية

1 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص137.

2 ينظر، **المصدر نفسه**، ص137.

التي تضمنها البيت، وهي قيمة لم تغب عن قدامة رغم ضيق عطنه في التحليل الأدبي وقلة احتفائه بالاستعارة "[1].

فلقد أوقع الخفاجي نفسه – بسبب نظرته السطحية – في مشكلة الاعتراض على تحليل الاستعارة المرشحة بالاعتماد على ما تناسق في بيت امرئ القيس، وربما على قصر نظر منه بورود مثل هذا النوع من الاستعارة في أساليب القرآن الكريم[2]، وقد أكد البلاغيون على قوة التعبير المجازي فيها، كونها أكثر عمقا وملائمة للدلالة الحاضرة في النص حتى يخيّل للقارئ حدوث التطابق بين المعنيين في الصورة.

- ✓ ويتضح في بعض ما أورده " ابن سنان " في سياق حديثه عن أسلوب الاستعارة أنه يعزو كل حسن في المجاز إلى درجة الإضمار والاقتصاد اللغوي المستقرة على مستوى البنية، تضاف إلى ذلك درجة الوضوح الحاضرة في بنيته السطحية، فكلما كان طرفا الاستعارة متقاربين في وجه الشبه كان التركيب الاستعاري جيدا وفصيحا، حيث يصل إليه العقل بقليل من التدبر وإعمال الفكر، وكأننا به يؤكد على ضرورة الابتعاد عن التعقيد والتكلّف ويلّح على ضرورة وضوح المعنى ووصوله للسامع مضبوطا.

---

1 حمادي صمود، **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة**، ص586. وينظر، قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص 175.

2 ينظر حمادي صمود، **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة**، ص586. وينظر، عبد القادر عبد الجليل، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية**، ص 483.

- ✓ فالملاحظ أن " ابن سنان " يركز في التركيب الاستعاري على ضرورة نجاعة العملية التواصلية بين المتكلم والسامع، ويشترط لذلك ضرورة تقارب أوجه الشبه بين طرفيها، وإلاّ عدها من البعيد المطرح أو يجعلها في منزلة وسط بين الجيد والرديء في حين يركز على ما أسماه بالتركيب الاستعاري القريب المختار.
- ✓ وإن كانت غاية الخفاجي محمودة في منهجيتها إلا أنه لم يسلم من النقد خاصة على يد "ابن الأثير" الذي عاب عليه رده على " الآمدي " و" أبـــي بكـــر الصولـــي" و" القاضي الجرجاني " وإن كان كلامه لا يخلو من الصحة في بيان الفرق بين أساليب الاستعارة والمجاز المرسل[1].

وعليه فإن آراء الخفاجي وإن بدت مضطربة في كثير من المواضع إلاّ أنّ غايته الأساس كانت توضيح المعنى للمتلقي حتى فلا يلتبس عليه الأمر (وإن كان فيها مبالغة شديدة منه)، فسيطرت فكرة الوضوح على مقاييسه وتمثيلاته "ودرسه لموضوعات البلاغة بوجه عام، وموضوع الاستعارة بوجه خاص، يتسم بالتنسيق والتبويب والإحكام في سرد مسائله، ويدل ذلك على الجهد المبذول في المعرفة التامة للدروس البلاغية لمن تأثر بهم من أمثال: (القاضي الجرجاني)، (الجاحظ)، (الرماني) و(الآمدي) وإن كان ينفي عن نفسه

1 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 156_137.

صفة التقليد "[1]، ويؤكد الخفاجي في السياق ذاته على أنّ غايته هي حاجته إلى التمثيل بذكر الجيد والرديء والمتوسط دون التعصب أو التشدد لرأي أحد دون آخر[2].

إنّ نظرة الخفاجي للأسلوب الاستعاري تعد فريدة من نوعها مقارنة بما ألف قبله من الناحية المنهجية في عرض موضوعها والتدرج في أقسامها وضرب الشواهد المتعددة عليها، حتى أن بعض الدارسين قد أرجأ إليه الفضل في التقعيد العقلي لهذا الباب الذي أفادت منه الدراسات البلاغية لاحقا، ولا غرو أن نجد الجرجاني يقسم الاستعارة إلى مفيدة وغير مفيدة بناء على وضع الخفاجي، ولا لأحد أن ينكر طبيعة تناول الخفاجي للقضية، فعلى حد تعبير بعض الدارسين " لم يكتب كاتب في البلاغة العربية منذ الجاحظ دون أن تأخذ الاستعارة حظا من كتابته قل أو كثر، وبعضهم كان يجعلها أول ما يتحدث عنه من أنواع البديع، ولكن توسع ابن سنان فيها يجعلنا نشير إلى صنيعه "[3].

بل يعتبر بعض الدارسين ومنهم "محمد العمري" الذي اشتغل على بعض آراء الكتاب ومواقف صاحبه أن فصل الاستعارة «الذي يتناول فيه ابن سنان طبيعة الاستعارة المحمودة يعتبر من أكثر الفصول كتابه أصالة وعمقا ووضوح رؤية، وموقفه فيه ينسجم مع البناء العام للكتاب في خدمة الصحة والاعتدال من أجل التوصيل بأحسن صورة» [4].

---

1 أحمد عبد السيد الصاوي، **مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين**، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط1، مج1، 1998م، ص81.

2 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 156.

3 علي محمد الحسن العماري، **قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ_1999م، ص 354.

4 محمد العمري، **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، ص 450.

3.استعارة البعيدة (المطرحة/غير حسنة):

تمثل الضرب الثالث من أضرب التركيب الاستعاري، والأصل هي "الاستعارة البعيدة عن تحقيق الهدف المقصود منها، وهو الإبانة بما يزيد على استعمال الألفاظ لما وضعت له في أصل اللغة، ويقصد بالبعد هنا عدم وضوح العلاقة بين المستعار والمستعار منه "[1].

وقد اعتبر هذا النوع (بعيدا مطرحا) وهو" إما أن يكون لبعده مما استعير له في الأصل، أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة فتضعف لذلك، والقسمان معا يشملهما وصفي بالبعد "[2].

*ولقد ساق الخفاجي أمثلة شعرية في هذا القسم نذكر منها :

مثال قول أبي تمام[3]:

النوع	المثال	نوع الاستعارة	التعليق
من الشعر العربي	في قول أبي تمام: يَا دَهْرُ قَوَّمْ مَنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خَرْقَكَ[4]	استعارة مكنية	تظهر في كلا البيتين استعارة مكنية ذكرها " ابن سنان" وعلق عليها بقوله: " فإن أخادع الدهر والشتاء من أقبح الاستعارات، وأبعدها مما استعيرت له، وليس يتبع ذلك

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 135.

2 ينظر، **المصدر نفسه**، ص 140.

3 أبو تمام، **الديوان**، ضبطه وشرحه وعلّق عليه شاهين عطية، المطبعة الأدبية، بيروت،ج1و2، 1889م، ص31.

4ابن سنان، **سر الفصاحة** ، ص140.

	وفي قوله: فَضَرَبْتُ الشَّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عُــوَدًا رَكُوبَا[1]		خفاء، ولا يعرف أبو تمام الوجه الذي لأجله جعل للشتاء والدهر أخادع (وهما عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا) إلا سوء التوفيق في بعض المواضع[2]. ومنه فإن " ابن سنان" وإن كان قد تجاوز في الشديد على المعايير التي اتخذها ومخالفته لغيره من البلاغيين، إلا أن غايته كانت توضيح معالم الاستعارة الحقيقية، وأما الاستعارة في البيتين فتكمن في تشبيهه (للدهر والشتاء) بالإنسان، فحذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على لازمة من لوازمه وهي (الأخادع) ولا يرجع سببه ثقل البيت إلى استعارته الرديئة فقط. فقد أشار إليه الجرجاني وعلّق عليه قائلا: ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظ الأخدع في بيت الحماسة... ثم إنك تتأملها

1 أبو تمام، **الديوان**، ج1، ص31.

2 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة** ، ص 140.

			في بيت أبي تمام... فتجد لها من الثقل في النفس...[1]

ـ وابن سنان عندما أورد الاستعارة وضرب لها أقسام التي بيّناها كان لأجل مقصدين هما:

1) الاهتمام بالناحية اللفظية:

حيث يعمل التركيب على تناسي التشبيه بجمع عناصر التقارب التي تسهم في تجسيد صور جديدة تثبت التّحكم في المعجم وتعكس حسن الاختيار والتوزيع وتقدّم قولا جديدا عاكسا، وبعدا تداوليا مقبولا.

2) الإبداع والخيال:

يندرج الإبداع ضمن تباري الحذّاق في نسج صور لغوية جديدة، تحدث وقعها لدى السامع، وتمكّن له فهم النظرة التحليلية للمتكلّم الذي يقبل بمجموعة من الخلفيات التي تتشارك معا لتقديم صورة خيالية تمثل معنى جديدا وفق إدراك جديد ينبني على الاختيارات المعجمية التي تشكل تجاوزا دلاليا في معانيها الحاضرة والغائبة.

1 الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر الخانجي، القاهرة، ط 5، 1424هـ _ 1998م ص46_47.

المبحث الرابع: تداولية الكناية عند ابن سنان

أولا: تعريف الكناية:

1) الكناية في اللغة:

جاء في معجم العين: " كنى فلان، يكنى عن كذا، وعن اسم كذا إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه، نحو الجماع والغائط، والكنية للرجل، وأهل البصرة يقولون:

" فلان يكنى بأبي عبد الله وغيرهم يقولو: يكنى بعبد الله، وهذا غلط، ألا ترى أنك تقول: يسمى زيدا ويسمى بزيد ويكنى أبا عمرو، ويكنى بأبي عمرو"[1].

2) **الكناية في الاصطلاح:** فقد عرفها الخطيب: " بأنها لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى[2].

ومعنى ذلك: أن المتكلم قد يريد إفادة معنى المعاني، فلا يذكرها بلفظه الصريح الذي وضع له في أصل اللغة، بل يتوصل إليه بذكر لفظ يدل على معنى من شأنه أن يكون متبوعا في التعقل والفهم للمعنى المراد، فالمعنى المتبوع هو المعنى الحقيقي للفظ، والمعنى التابع هو المعنى الكنائي المراد من اللفظ، وهو المقصود بالإفادة، وبه يتعلق الإثبات أو النفي، وإليه يرجع الصدق والكذب.

---

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، مادة (كنى)، تح:عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 2003م، ص54.

2 ينظر، الخطيب القزويني، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، تع: الشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ج3،1950 م، ص167،

وهنا تكون الكناية واسطة بين الحقيقة والمجاز فهي ليست حقيقة؛ لأن اللفظ لم يرد به معناه الحقيقي، بل أريد به لازم معناه، وليست مجازا؛ لأن المجاز لا بد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[1].

أما القرينة الكناية فهي مجوَّزة لإرادة المعنى الحقيقي، وهذا هو مناط الفرق بين الكناية والمجاز، وهذا لا يعني: أن كل مثال للكناية يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي، فقد تمتنع إرادته؛ لأنه غير محقق في الواقع، كما نقول في الكناية عن طول القامة، (فلان طويل النجاد) إذ يصح أن نقول هذا الشخص لا سيف له فضلا عن أن يكون له نجاد.

وذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2]

- كناية عن الاستيلاء والسيطرة، فالمعنى الحقيقي هنا تمتنع إرادته؛ إذ يستحيل على الله تعالى أن ينسب إليه " الاستواء" بمعناه الحقيقي وهو " الجلوس " .

و كقوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾[3]

- كناية عن الجود؛ لأن " اليد " بمعناها الحقيقي وهو" الجارحة " مستحيل ثبوتها لله تعالى.

1 ينظر، الخطيب القزويني، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، ص167، وأحمد ابراهيم موسى، **البلاغة التطبيقية**، مطبعة المعرفة، القاهرة، ط1، 1963م، ص239.

2 **سورة طه**، الآية 5.

3 **سورة المائدة**، الآية 64.

ثانيا: الكناية عند ابن سنان:

لقد صبّ " ابن سنان " جلّ اهتمامه على باب الاستعارة وفصّل القول في المستحسن والقبيح فيها، وفي الباب نفسه؛ أي "باب حسن وضع الألفاظ مواضعها في التأليف"، اشتغل بعض الشيء على مفهوم الكناية فقد تعرض لها في كتابه " سر الفصاحة " مرتين: إحداها: عندما كان يتكلم عن فصاحة الألفاظ، ووضعها، وعدها من أصول الفصاحة، ومن شروط البلاغة مع رعاية المقام[1].

وانتهج فيها الأسلوب النقدي التعليمي الذي يحاول من خلاله دسّ القواعد اللازم توافرها في الناقد الباحث أو القارئ المتصفّح أو السامع، يقول عنها: " ومن هذا الجنس حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح؛ وذلك أصل من أصول الفصاحة وشرط من شروط البلاغة، وإنما قلنا في الموضع الذي لايحسن فيه التصريح لأن مواضع الهزل والمجون وإيراد النّوادر يليق يها ذلك، ولا تكون الكناية مرضية، فإن لكل مقام مقالاً، ولكلّ غرض فنّا وأسلوباً "[2].

وذكر أمثلة للكناية الحسنة منها قول امرىء القيس: (الطويل)

فصرنا إلى الحسنة ودق كلامنا ورضتُ فذلُتْ صعبةً أيَّ إذلالِ[3]

1 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 155_156.

2 المصدر نفسه، ص173.

3 امرىء القيس، **الديوان** ، ص32.

لأنه كنى عن المباضعة بأحسن ما يكون من العبارة.

وعلى ذلك فالكناية لون تعبيري يقتضي العدول في التركيب من البنية السطحية إلى البنية العميقة لا على وجه التمام، إذ إنّ المعنى المكنّى به يظل حاضرا على مستوى الأسلوب الكنائي فهو دليل على المعنى المقصود " فالكناية تقوم على وجود بنيتين: بنية سطحية تمثل المعنى المكنى به، وبنية عميقة تمثل المعنى المراد المكنى عنه، والمتلقي لا يصل إلى البنية العميقة بنفي البنية السطحية، فالبنية السطحية هي المدخل للبنية العميقة"[1].

وعلى المتكلم أن يوجه قدرته الذهنية للربط بين أطرافها، من خلال القيام بعمليات استدلالية، استناد لمقام الاستعمال ومقتضياته، للوقوف على المعاني الضمنية للتركيب الكنائي.

ويتضح من كلامه أنّه يلجأ إلى الكناية لأجل تحقيق أغراض معيّنة أوّلها ترد من باب التعمية على الألفاظ المكروهة والبذيئة، وثانيهما أنّها تأتي مراعاة لمقامات المخاطبين ومكانتهم، وثالثها أنها شرط من شروط البلاغة وأصل للفصاحة، وهذا يعني أن المخاطب الحاذق هو القادر على لف معانيه في سياقات تخرج مهذبة مشحونة بالمعاني والدلالات المختلفة التي لم يحسن التصريح بها، وعلى المتلقي الفطن أن يقابلها بتأويل يحلّل فيه شفراتها.

1 محمد أحمد أبو بكر أبو عامود، **البلاغة والأسلوبية تصوير الموت في القرآن الكريم –نموذجا–**، تقديم: عبد الرحيم محمود زلط، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م، ص241.

وثانيهما: "عندما جعلها من نعوت البلاغة والفصاحة "[1]، وكان يسميها الإرداف والتتبيع. فيعرف ابن سنان الإرداف والتتبيع – الكناية– بأن تريد الدلالة على معنى، فلا تستعمل اللفظ الخاص.. الموضوع له في اللغة، بل تأتي بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة، فيكون في ذكر دلالة على المتبوع، ثم يقول:" وهذا يسمى الإرداف والتتبيع؛ لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعه[2].

ـ وهي إشارة واضحة إلى حاجة هذا الأسلوب البياني الدّقيق في تعبيره إلى الانتقال من اللازم إلى الملزوم بصورة تهيىء المتلقي إلى استقبال العبارة ببنيتها السطحية والعميقة لتدلّه الأولى على أغراض الثانية في علاقة متتالية تستلزم ارتباط معنى المعنى بمعناه الموضوع له في ظاهر اللفظ.

ـ ولا يخفى على أحد أن "ابن سنان" عاش في (القرن الخامس) أين كانت البدايات الفعلية لتأسيس الدرس البلاغي، ولم تكن معالم البلاغة قد اتضحت أبوابها وأقسامها إلا لاحقا، ولهذا لا نجد في كلام الخفاجي ما يدل على أقسام الكناية أو أنواعها بقدر ما نجد الإشارة إلى تعلّق التصريح من عدمه بمواضع استخدام الكلام، وملاءمته لمقتضى الحال والمقام؛ ولذلك وجدناه في العبارة السابقة يؤكد على أنّ لكل غرض من الكلام فنونه وأساليبه التي تليق به ولا تليق بغيره.

1 ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 221.

2 **المصدر نفسه**، ص 221.

- وهو هنا يتحدّث عن فكرة لسانية مهمة ما فتىء يؤكد عليها علماء اللّسانيات الحديثة، وتقتضي ربط الصياغة اللغوية بمقامات استعمالها، وهذا ما تعالجه اللسانيات الحديثة اليوم خاصة اللّسانيات التّداولية[1].

ثالثا: استقرار مصطلح الكناية عند ابن سنان:

وقبل عرض تحليلات "الخفاجي" للنماذج تنبغي الإشارة إلى تناوله لمفهوم "الكناية" في سياق الحديث عن نعوت البلاغة والفصاحة، فوظّف مصطلحات تتداخل مع مفهوم الكناية، وهي ما وظفها البلاغيون قبله أمثال قدامة بن جعفر (ت 334هـ) والعسكري (ت 395 هـ) وابن رشيق (ت 456 هـ)، نوضحها فيما يلي:

1. الكناية ⟸ باب حسن وضع الألفاظ موضعها (شروط الفصاحة والبلاغة).
2. الإرداف والتتبيع ⟸ من نعوت البلاغة والفصاحة.

أما الكناية فهي على ما أوردناه عنده لا تخرج عن كونها بناء نصيا تركيبيا تتعلق بأساليب المخاطبين وإجراءات الخطاب في تراوحه بين الحقيقة والمجاز " فالبنية الكنائية تنمو في النص "محايدة" بين الحقيقة والمجاز ضمن تشكيل ثنائي الناتج الصّياغي مطروحا في سياق التركيب، وهاتان البنيتان تسيران بخطّ متواز داخل منطقتي الحقيقة والمجاز، على

1 ينظر، فرانسواز أرمينكو، **المقاربة التداولية**، ص12.

مستوى السطح والعمق، وفي حالة كشف العمق عن جهة سير العناصر الدلالية، فإن النص يكون من حصة منطقة المجاز، وإلا فالمراوحة في المنطقة المحايدة "[1].

وتعلّق أسلوب الكناية بالفصاحة مرهون بالمقال الذي يطرحه المتكلم وقدرة ذهن المتلقي على استيعاب الصورة بطريقة تبتعد عن الغموض وتطرح القيم الجمالية والأدائية الموحية للتعبير مما يخلق عنصر المقبولية لديه، ويضمن عنصر التشويق في الخطاب.

تنسب عديد من الدراسات استقرار مصطلح الكناية لكتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، والذي لا غموض فيه _كما أشرنا_ هو التقاطع فيما أورده ابن سنان مع ما توصل إليه الأول، وكلا التعريفين يشي بخصوصية الأسلوب الكنائي وعنايته بالمعاني التي لا تظهر لفظيا بل بتأويل العبارة.

ولئن كان قدامة بن جعفر (ت 334 ه) قد اصطلح عليها بلفظ (الإرداف)، والعسكري (ت 395 ه) بلفظ (الإرداف والتتبيع)، وجعلها الجرجاني (الكناية)، فإن الخفاجي قد وظف المصطلحات الثلاثة وجعل كلا منها ذا دلالة مرتبطة بسياقه الخاص.

_ يمكن القول إنّ مصطلح الكناية في الموضع الذي ذكره فيه "ابن سنان" هو ما عرّفه البلاغيون باسم "التعريض"، ليتّخذ مصطلحا "الإرداف والتّتبيع" مفهوم الكناية كما عُرف

1 عبد القادر عبد الجليل، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية**، ص495.

في الدرس البلاغي وما ذكره "ابن سنان الخفاجي" عن مصطلحيّ الإرداف والتّتبيع يتوافق مع مفاهيم سابقيه ولا يكاد يخرج عنها.

ـ وعليه فإن الكناية بهذا المفهوم أسلوب تعبيري يراعي سياق الاستعمال وأحوال المخاطبين، ليتجاوز المقاييس الدلالية ويثبت الحضور التداولي في شبكته حين الإشارة إلى المعنى بطرق غير مباشرة فهي " إنما تنتقل بمتلقي الخطاب إلى دلالات أخرى مستلزمة، متجاوزة بذلك المعنى الحرفي للعبارة (دلالة وضعية) لتصل إلى المعنى المقصود (المكنى عنه)، ويكون ذلك من خلال السياق الاستعمالي للتراكيب، إنها عدول عن التصريح بذكر الشيء مباشرة (التعبير المكنى عنه) إلى الإيماء إليه (التعبير بالمكنى به).."[1]

والكناية عدول واختراق لقواعد الاستعمال عند (غرايس) الذي عدّها مظهرا من مظاهر خرق قانون الكيف؛ إذ المنطوق به (المعنى الحرفي) غير ما يفهم من التعبير الكنائي (العنى الباطني)[2].

ـ إنّ طريقة الخفاجي في طرح موضوع الكناية تنم عن وعي دقيق بأسلوب التعبير الذي يتطلّب عنصر الانتقال من سطح العبارة إلى عمقها بتجاور الدلالة الوضعية إلى الدلالة الإنجازية الفعلية بالربط مع سياقات الظاهرة، وتتراوح دلالاتها الإيحائية بين الظهور

1 باديس لهويمل، **مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626هـ)**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014م، ص 216.

2 ينظر، بنعيسى أزابيط، **مدخلات لسانية: مناهج ونماذج**، ص68.

والإضمار المتعلّق بأساليب المتكلّم وأغراضه، وبعدّها شرطا في بلاغة الكلام فالعدول عنها عدول عن الصحة وفقدان سلامة المعنى.

ـ ولم يخالف " ابن سنان" في هذا الباب منهجه الذي اتبعه على طول الكتاب، فقد عمد إلى تقسيم الكناية إلى قسمين " حسنة وقبيحة " أما الحسنة منها فهي التي يتقبلها القارئ في موضعها ويعجب بها وبتركيبها وصياغتها على ذلك النحو، وأما القبيحة فهي التي تتم فيها التعمية على المعنى في صورة لا يتقبلها القارئ ولا يستحسنها، ولا يجد جانبا من الإعجاب أو الجدة[1].

رابعا: أقسام الكناية عند ابن سنان الخفاجي:

أ. كناية عن صفة:

هي أن يصرح في الكلام بالموصوف وبالنسبة إليه، وتطوى الصفة المطلوب إفادتها، على أن يذكر في الكلام صفة تستتبع وتستلزم الصفة المطلوب إثباتها[2].

بمعنى: تتعلق هذه الكناية بالوصف المعنوي في بنية الجملة أو العبارة، ويمكن تحميل الشواهد الحاضرة في المدونة في هذا الصنف دلالة القرب والإيضاح (كناية قريبة)، وسنركّز الحديث على ما تواتر من دلالات في الشواهد العربية عن الكناية وأهمها:

1 نور الهدى حسني، **البلاغة والأسلوبية اللغوية (دراسة في سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)**، عالم الكتب الحديثة إربد، الأردن، ط1، 2018م، ص115.

2 عبد العاطي غريب علي علام، **البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي**، ص253.

النوع	المثال	نوع الكناية	التعليق
من الشعر العربي	قول المتنبي[1] (الخفيف): تَدَّعِي مَا ادَّعَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّو قِ إِلَيْهَا والشَّوْقُ حَيْثُ النَّحُولُ.	كناية عن صفة	وهي كناية عن أحسن ما قيل في الشعر ذلك أنه" كنَّى عن كذبها فيما ادَّعته من شوقها بأحسن الكناية"[2] فذكر كذبها دون أن يؤثر ذلك على جمال العبارة وحسنها.
	يقول عمر بن أبي ربيعة(الطويل): بَعِيدَةُ مَهْوَى القِرْطِ إِمَا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وإِمَا عَبْدُ شَمْسِ هَاشِمِ[3]	كناية عن صفة	أحسن الشاعر التعبير عن صفة طول العنق في صورة تستلزم الدلالة على الجمال والحسن، قوله: (بعيدة مهوى القرط)، ثم إن مقام الغزل للمرأة لم يقتصر عند الشاعر بالإشارة إلى طول عنقها وإنما هو دلالة على منزلتها وعلو شأنها بين قومها[4].

ب. كناية عن موصوف:

"وهي الكناية التي يستلزم لفظها ذاتاً أو مفهوما، وقد توجد بين المكنى به والمكنى عنه علاقة تشابه أو تجاور، ولكنها لا تؤول بالكناية إلى الاستعارة، أو المجاز المرسل،

1 المتنبي، **الديوان**، ضبطه وصححه مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، (د_ط)، (د_ت)، ج3، ص149. ينظر، ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص175.

2 المصدر نفسه، ص175.

3 المصدر نفسه، ص229.

4 أحمد محمود المصري، **قطوف من بلاغة العرب**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2007م، ص129.

لأن هذه العلاقة ليست مقصودة لذاتها، وإنما يلتقطها المبدع ويستأنس بها للربط بين المعنى الحقيقي والمعنى الكنائي في ذهن المتلقي، ويدخلها العرف للمجتمع في كناياته عن الموصوف"[1].

وتنقسم الكناية في دلالتها عن الموصوف تبعا للتركيب الكنائي إلى:

1. الكناية عن الموصوف بمعنى واحد.
2. الكناية عن الموصوف بمعان متعددة.

وكل الكنايات التي أوردها الخفاجي تندرج ضمن الصنف الأول.

ـ ومن بين دلالات في الشواهد العربية عن الكناية وأهمها (دلالة الكرم).

النوع	المثال	نوع الكناية	التعليق
من النثر العربي	قول أعرابية في وصف رجل: " لقد كان فيهم عمّار، وما عمّار؟، طلاب بأوتار، لم تخمد له قطّ نار"[2]	كناية عن موصوف	قال ابن سنان: " فأرادت بقولها لم تخلد له قطّ نار كثرة إطعامه الطّعام، فلم تأت بذلك اللفظ بعينه بل بلفظ هو أبلغ في المقصود، لأن كثيرا ممن يطعم الطعام تخمده ناره في وقت"[3] وذلك من أحسن الكنايات.

1 أسامة البحيري، **البنية المتحولة في البلاغة العربية**، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1430هـ_ 2009م، ص302.

2 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 230.

3 **المصدر نفسه**، ص 230.

	وقول الأخرى: "له إبل قليلات المسارح، كثيرات المبارك، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك"[1].	كناية عن موصوف	فأرادت: " أن هذا الرجل ينحر إبله فقلما تسرح وتبعد في المرعى، لأنه يبركها بفنائه ليقرب عليه نحرها للضيوف، والمزهر العود الذي يغني به، فإذا سمعت الإبل صوته أيقنت أنها هوالك لما قد اعتادته من نحره لها إذا سمع الغناء وانتشى، لذلك لا تعتاده الإبل وتفهمه إلا مع الاستمرار والدوام، وهذا كله أبلغ من قولها: إنه ينحر الإبل على ما قدمناه وبيناه".

لقد ساق الخفاجي مثالين للإشارة إلى دلالة الكرم المستقرة في الكناية ويمكن تفصيل الشاهد الأول بالمخطط التالي:

التعبير الكنائي ← الدال: (لم تخمد له قطّ نار)

الدلالة الأولى ← الدلالة الحقيقية.

الدلالة التأويلية ← الدلالة المجازية(كثير الكرم)

1 **المصدر نفسه**، ص 230.

ـ ويمكن مقاربة القولين من الناحيتين الدلالية والتداولية بما تواتر في شواهد البلاغة في قولهم: " فلان كثير الرّماد" فيكون استنطاق الأبعاد الدلالية بصورة تلازمية استلزامية كمايلي:

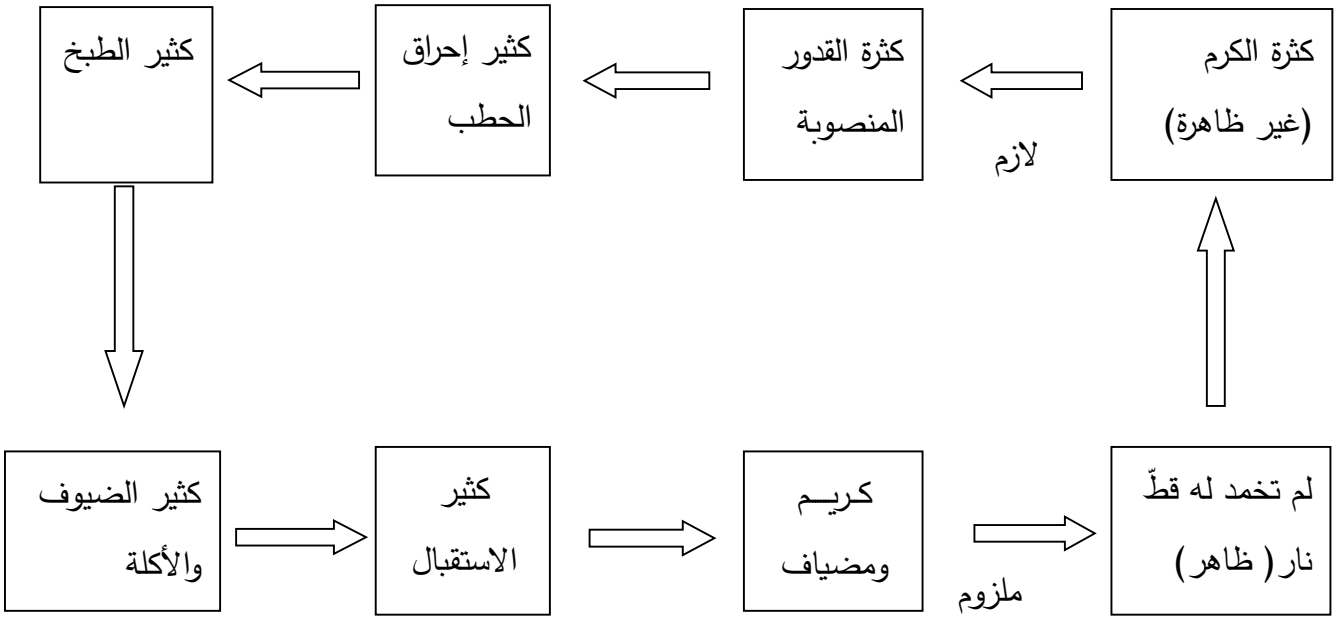

وربما الدلالة أقوى في قول الأعربية:

لم تخمد له قطّ ⟸ مقارنة ⟸ بقولهم: فلان كثير الرّماد.

أما الشاهد الثاني الذي يعبر عن دلالة الكرم فيمكن تمثيله بالآتي:

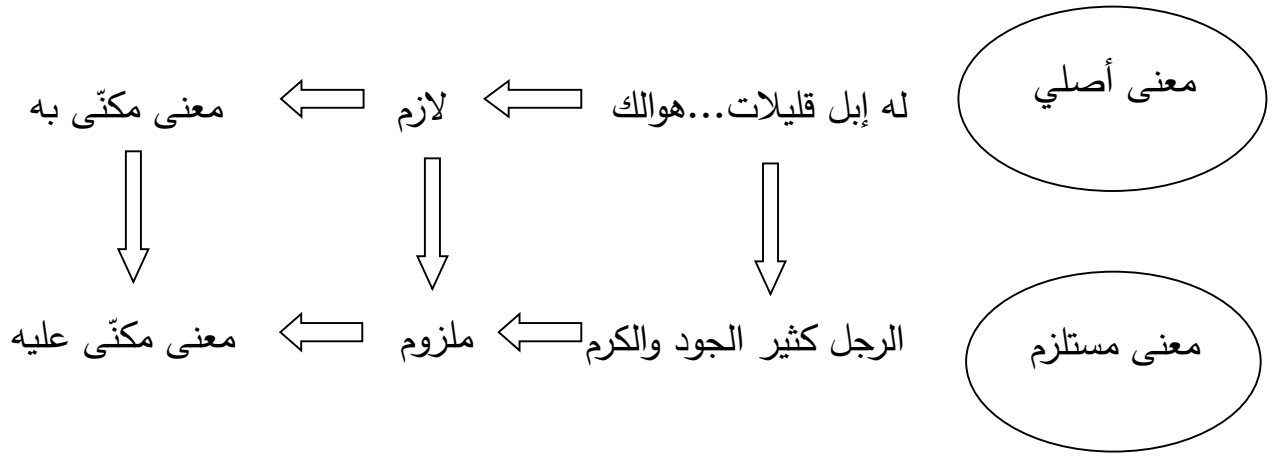

(قوة إنجازية مستلزمة)

واستنادا إلى هذه التلازمية الدلالية يتراءى للمتلقي الجمال في أسلوب التعبير وحسن النظم والصّياغة لأنه بهذه المعانى المحصورة " لا يكون المتكلّم قد أنجز فقط الفعل الإنجازي بطرق غير مباشر، وهو مدح زيد، بل يكون المتلقي قد فهم هذا المعنى واقتنع تبعا لذلك بالفعل الإنجازي غير المباشر(...)"[1].

وعليه تجدر الإشارة إلى أن مقاصد الكناية تشمل حضور السياق اللغوي وعنصر الثقافة لتبدي التفاعل غير المباشر في التعبير الكنائي كعادات العرب ونظامهم المعيشي.

وفيما يتعلّق بالشاهد فإن المتلقي يستند –كما ذكرنا– على الدلالة السطحية المباشرة ويستكشف من خلال مقاصد المتكلم غير المباشر ربطا بالسياق العام فينتج عن ذلك حضور قاعدة التلازم بين (اللازم والملزوم) لأن عنصر القصد " من جانب المرسل هو الذي يرجح مجاوزة المستوى السطحي للأسلوب الكنائي ويحيل المستقبل بواسطة النسيج الثقافي المشترك بين طرفي الاتصال إلى المستوى العميق الذي يدرك من خلاله لازم المعنى وغرض المرسل من استعمال بنية الكناية ... وهو بذلك يسهل عملية التواصل بينهما وييسر إحالة المستقبل إلى المعانى التي يريد المرسل توصيلها "[2].

ومن أمثلة الكناية عن الموصوف أيضا:

1 علي محمود حجي الصراف، **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سياقي)**، ص 152.
2 أسامة البحيري، **البنية المتحولة**، ص272.

النوع	المثال	نوع الكناية	التعليق
من النثر العربي	قوله: " وأما الوديعة فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك عناية بها وحياطة لها ورعاية لمواتك فيها"[1]	كناية عن موصوف	يرى "ابن سنان" أن مثل هذا الاصطلاح يمثل نصف البلاغة في تسمية المرأة " بالوديعة"؛ والدليل على ذلك استحسان الكتّاب لهذا الاسم واستخدامه في كتاباتهم؛ وهو الأمر مع لفظ " الأمانة" التي تدل على المرأة أيضا؛ فهو يرمي إلى القول عن (الوديعة) أنها امرأة فلم يقبل التصريح بها باللفظ الموضوع لذلك من اللغة، فأتى بشيء تترتّب عليه وتصلح له...فهو من جهة لسانية معنى حقيقي يقصد به معنى آخر.

وبتعبير آخر نقول إن الكناية هنا عدول عن التصريح بذكر الشيء المباشر (المرأة) إلى الإيماء إليه بما يدل عليه (الوديعة) في سياق التخاطب من خلال عمليات استدلالية يقوم بها السامع، وهو ما يمنح التعبير الكنائي بعدا تأويليا تداوليا يمكن عرضه وفق التحليل الآتي[2]:

أ. إن المتكلم قد أنجز فعلا إخباريا من خلال قوله (الوديعة).

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص174.

2 علي محمود حجي الصراف، **الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة**، ص 152_153.

ب. إن المتكلّم يحترم ويراعي الشروط الإنجازية، ومنها ما يتعلّق بالمبادئ الحوارية التى تقتضي وصول المعنى بصورة سليمة ومنطقية (قال في الفصل الذي احتاج فيه إلى ذكرها).

ج. إن المتكلّم بقوله: الوديعة يكون قد خرق القواعد المتفرعة من الشروط الإنجازية – ولاسيما مبدأ التعاون الحواري– التي تقتضي " اجتناب المتكلم لخفاء العبارة بأن لا يكون كلامه متشابها ولا مجملا ولا مشكلا" إذن إن قول المتكلم (الوديعة) غير واضح ولا يخلو من إخفاء لوجه التصريح، إلاّ أن وجه التصريح يكون ممكنا إذا كان المتكلم يقصد معنى آخر لم يصرح به حرفيا.

د. إن المتكلم يقصد معنى آخر غير المصرّح به حرفيا لأنه يحترم شروط الإنجاز.

هـ. يبحث المتلقي –استنادا إلى السياق وإلى قدرته الاستدلالية– عن المعاني الممكنة غير المصرح بها (الوديعة) فيحصرها في أوجه الأمانة، الرعاية، الاهتمام، الحفظ، المسؤولية؛ حيث يوجد ارتباط لزومي للمعنى بين الطرفين.

وبإعادة النظر إلى هذه الصور يمكن التعليق على الشرطين الثالث والرابع، بأن خرق قواعد الإنجاز بين الطرفين لا يحصل على مستوى التخاطب في مبدأ التعاون الحواري بقدر ما يحدث الخرق في قاعدة الكيف التي تتطلّب حضور المساهمة اللغوية اللازمة حواريا ونوعيا.

إذ الكناية حسب الدارسين، مظهر آخر من مظاهر خرق قانون الكيف لعدم وضوح التعبير الكنائي في المنطوق مباشرة. [1]

✓ فالكناية إذن أسلوب حواري يعمد إلى الخروج عن المعنى الحرفي المباشر (دلالة وضعية) إلى معان ثوان (دلالة عقلية) تستفاد من المعاني مباشرة بعمليات استدلالية لتفيد أغراضًا مختلفة يقتضيها سياق الاستعمال.

ـ ساق الخفاجي مثالين للكناية عن الموصوف:

النوع	المثال	نوع الكناية	التعليق
من الشعر العربي	قول الشاعر :(في القلب)[2]: (لكامل): الضَارِبِينَ بِكُلِ أَبْيَضَ مِخْذَمِ والطَاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ وفي قول آخر[3]: الطويل) فَأَوْجَرَتهُ أُخْرَى فَأَضَلَلَت نَصْلَهُ بِحَيْثُ يَكُون اللَبُّ والرُعبُ والحِقدُ	كناية عن موصوف	فكلا الموضعين يحيل إلى: " القلب" فجعله الأول موطن الضغائن ومجمعها، ووصفه الثاني بكونه مستقرا لصفات الرعب واللب والحقد، يقول " الخفاجي " تعليقا على البيت الثاني: " لأنه أراد القلب فلم يعبّر عنه باسمه الموضوع له، وعدل إلى الكناية عنه بما يكون فيه اللب والرعب والحقد، وكان ذلك أحسن لأنه إذا ذكره بهذه الكنايات كان قد دلّ على شرفه وتميّزه عن

1 ينظر، بن عيسى أزابيط، **مدخلات لسانية " مناهج ونماذج"**، ص68.

2 عمرو بن معدي كرب الزبيدي، **الديوان**، تحقيق مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، مج1، ط2، 1405هـ_1985م، ص174

3 البحتري، **الديوان**، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، مج5، ط3، ص744.

			جميع الجسد، بكون هذه الأشياء فيه، وأنه أصاب هذا المرمى في أشرف موضع منه. ولو قال: أصبته في قلبه لم يكن في ذلك دلالة على أن القلب أشرف أعضاء الجسد فعلى هذا السبيل يحسن الإرداف".[1]

وخلاصة القول في أسلوب الكناية عند الخفاجي، عدّه باب الكناية نعتا من نعوت التي تختص بها كل من البلاغة والفصاحة، ويكون المراد منها الدلالة على المعنى؛ بحيث " لا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة، فيكون في ذلك التابع دلالة على المتبوع (...) اللفظ المخصوص بذلك المعنى[2].

وهذا فيما يخص باب الكناية والإرداف عند الخفاجي في نصوص نثرية وشعرية، ولم يظهر بينها ما يشير إلى كناية النسبة.

1 ابن سنان، **سر الفصاحة**، ص 231.

2 **المصدر نفسه**، ص 229.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، لابد أن نذكر أنّ تناول التراث بمنظور حداثي تداولي قد يفتح بعدا أخرا يتناول هذا التراث البلاغي الضخم، بحيث يوسع هذا من آفاق رؤيتنا له، ويعيننا على إدراك خصائصه الإبستيمولوجية والمنهجية، وكشف عظمة هذا التراث وثرائه بما يستحق إعادة النظر فيه، لبعثه من جديد.

إن المباحث الدلالية قد أولت اهتماما كبيرا لعلاقة اللفظ بالمعنى وارتبط هذا بفهم طبيعة المفردات والجمل من جهة وفهم طبيعة المعنى من جهة أخرى، كان هذا التقسيم مع علماء اللغة الهنود وذلك أن دراسة المعنى في اللغة بدأ منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي في حين أن اليونان كان لهم أثرهم البيّن في بلورة مفاهيم لها صلة وثيقة بعلم الدلالة، فأفلاطون يميل إلى القول حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول.

ومن أهم النتائج الذي توصلنا إليها أيضا؛ أن البلاغة أو البيان تحمل في طيّاته بذور التّداولية، وإن اعتبرها البعض جوهر التداولية؛ فهي في عمق تكوينها، وأهدافها تداولية، فكل من البلاغة العربية والتّداولية يعتمدان على طرفيّ الخطاب: المتكلّم والسامع؛ بالإضافة إلى أن المتكلم يخضع كلامه أثناء استعماله لشروط تداولية، وذلك قصد تحقيق الهدف البلاغي، وإقناع المتلقي أو السامع والتأثير فيه.

تهتم التّداولية بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، وبطرق استخدام العلامة اللغوية بنجاح، وبالسياق الذي ينجز فيه الخطاب، كما نركز في دراستها على العناصر العملية

التواصلية ويقوم هذا المبدأ على مجموعة من الآليات التحليلية أهمها: أفعال الكلام، والحجاج، والاستلزام الحواري، هذه الآليات التي طبقناها على كتاب "سر الفصاحة" الذي يشكل أرضية خصبة للدراسات التّداولية لما فيه من مكنون لغوي متميز.

فاهتمت البلاغة بطرفي الخطاب، وحاولت أن تمد " المتكلم" بكل الوسائل البلاغية والتعبيرية للوصول إلى غرضه والتأثير في المتلقي؛ كما سعت لضمان أن يكون كلامه فصيحًا ناجحًا ومقبولاً عند السامع، كما كان من أهم شروطها أن يكون الكلام موافقًا للمقام أو ما سمي بـ **"موافقة الكلام لمقتضى الحال"**، وهو حال ومقام كل من المتكلم والسامع، وكذا مراعاة مرتبة "السامع" ومكانته الاجتماعية وحالته النفسية وقدرته الذهنية والفكرية.

كما أنها ركزّت على طبيعة هذا " المتلقي" وقدرته التأويلية للوصول إلى قصد " المتكلم" أي مستواه الذهني والتفكيري؛ فقد كانت البلاغة تعيي أن الكلام يوجه إلى أنماط متعددة ومختلفة من " السامعين"، وذلك يظهر في دراسات بعض علمائنا البلاغين العرب.

وبذلك تظهر الأبعاد التداولية للبلاغة العربية، فالاهتمام بكل من طرفي التواصل: المتكلم والسامع، بالإضافة إلى الاهتمام بالمقام، وسعيها لتحقيق التأثير في "السامع" واقناعه، وإنجاح العملية الاتصالية بين طرفي الخطاب، كل هذا يمكن أن يثبت البعد التداولي للبلاغة العربية.

إنّ الصور البيانية من: مجاز، وتشبيه، واستعارة، وكناية؛ تسعى إلى التأثير في المتلقي أو السامع وتمكين المعنى في ذهنه؛ وبذلك فهي ذات أبعاد تداولية، وقد تنبه الخفاجي لهذا الجانب في استعمال هذه الصور البلاغية.

على الرغم من عدم إشارة " ابن سنان " للمجاز إلا ما ظهر عرضا كأفكار المجاز المرسل أو التمثيل، إلاّ أنّ اهتمامه بقضايا التشبيه والاستعارة والكناية تميّز بالعمق وجودة الوصف والتمثيل بطريقة تثبت حسن إدراك القيمة الدلالية والشعرية التي تتموقع فيها القضايا من الدرس البياني عموما، ومن درس الفصاحة خصوصا.

وقف " ابن سنان " البلاغي والناقد والشاعر على شعرية الفنون المجازية رابطا بين الأبعاد المعجمية والبنى السطحية، وبين فضاءاتها الدلالية المنفتحة حتى تجذب أفق القارئ وتستقطب اهتمامه وتركيزه في محاور ثلاثة هي: النص والسياق والقصد.

لقد تجاوز الخفاجي عوارض التصنيف والتقسيم والتنويع في هذه الصور لغاية في نفسه تؤول إلى صبّ الّرؤى على ما يضمن ويحقق أسرار الفصاحة في أسلوب المتكلّم وتحقّق معياري المقبولية والمقصدية لدى السامع.

إنّ تناول " ابن سنان " لمجموع القضايا هو تجلّ لمظاهر التّداولية؛ ذلك أن طرحه انطلق من محاولة إرساء مبادئ تعليمية بلاغية تمكن الطالب الباحث من التسلح بمجموعة من الآراء والقواعد، فرغم معاصرته لشخصيات مهمة في الجانب البلاغي إلاّ

أنه استطاع أن يشق لنفسه منهجا خاصا تميز فيه عن غيره من البلاغيين، بل وفرض عليهم الاقتباس من آرائه والاستفادة من دراسته في الدراسات اللاحقة.

يتميز كتاب " سر الفصاحة " بسهولة أسلوبه وتوضيحه للعديد من النظريات الهامة، فهو كتاب بلاغي المظهر والقضايا، نقدي المضمون والأهداف، وما يثبت ذلك أن " ابن سنان" يحاول جعله جسرًا ينقل من خلاله القضايا التي ينبغي للباحث الناقد التحلي بها.

وما يدل على ذلك أكثر هو تجاوزه للقواعد العامة وتركيزه فقط على أسرار الفصاحة وجواهرها الجمالية، فهو كتاب يبحث في أسرار الفصاحة وشروطها وكذا الاهتمام بتناول القضايا البلاغية بروح علمية تعليمية.

إنّ طرح "الخفاجي" للظواهر البيانية قد جاء على نحو من السهولة والبساطة والسلاسة خاصة عندما تجاوز الحديث عن أنواعها وأركانها، بل يكتفي بالإشارة إليها باعتبارها ألوانا خطابية بلاغية تكسو جملة القول وتسمو بها عن أساليب التعبير العادية، علما أنه حاول شرح قضاياه وتحليلها، بل وربطها بسياقات التلفظ بها ومقامات أصحابها وهو ما رأيناه في أبواب الاستعارة والكناية والتشبيه.

إنّ هذا الكتاب قد استحق أن يوصف بأنه سرّ من أسرار البلاغة العربية وجواهرها، نظرًا لما حواه من ظواهر وقضايا كان لكلّ واحدة منها أن تكون بحثا قائما بذاته، يمكن تناوله من عدّة جوانب للدراسة، ومع ذلك فإن هذا البحث لا يعدو أن يكون

محاولة لتطبيق بعض الآليات التّداولية على واحد من مخلّدات الموروث العربي، وعلى أمل أن يلقى هذا الكتاب اهتماما أكثر من طرف الباحثين، قراءة وتحليلا وإقبالا.

وفي الأخير نرجو من الله عزّ وجلّ أن نكون قد وفقنا فيما سعينا إليه من خلال هذه الدراسة، وأن تكون دراستنا حافزًا لدراسات أخرى تبحث فيما فاتنا من جوانب أخرى مهمة، وحسبنا أننا حاولنا وخضنا هذه التجربة بجد وصبر وصدق، فإن أخطأنا فمنا وإن أصبنا فبتوفيق من الله وحده.

قائمة المصادر

والمراجع

* **المصحف الشريف:** برواية حفص عن عاصم، دار الإمام نافع، دمشق، سوريا، ط1، 1428-1996.

أولا: المعاجم:

1. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، مادة (لفظ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
2. أحمد ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت395هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، طبع مصطفى الحليبي، سوريا، ج4، (د.ط)، 1969م.
3. الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، ت716هـ/ 1413)، معجم التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، تح: محمد صديق المنشاري، القاهرة، (د، ط)، 2004م.
4. الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (د.ط)، 1977م.
5. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة (كنى)، تح:عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 2003م.
6. الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي ت817هـ)، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 2003م.

7. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1425هـ-2004م.

ثانيا: الكتب العربية والمترجمة:

8. ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، الدار التونسية للنشر، أبريل، ج2، 1984م .

9. ابن سنان الخفاجي، الديوان، تح: مختار الأحمدي نويوات، نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (دط)، 2007م.

10. ابن سينا، العبارة (الشفاء)، الهيئة المصرية العامة، تح: محمد الحضري، القاهرة، 1970 م.

11. ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، دار المعارف، شر: نصر الدين الطوسي تح: سليمان دنيا، مصر، ط2، 1960م.

12. ابن ميادة، شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق: دكتور حنا جميل حداد، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1982م.

13. أبو العلاء المعري، ديوان سقط الزند، دار صادر، بيروت، 1376هـ-1057م.

14. أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

15. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتب العربي، بيروت، ج4، (د، ت).

16. أبو تمام، الديوان، ضبطه وشرحه وعلّق عليه شاهين عطية، المطبعة الأدبية، بيروت،ج1و2، 1889م

17. أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ج1 صلاح الدين الصفدي، فوات الوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ج17 ، (دط)، 2000م.

18. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضيطه وشر؛ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

19. أحمد ابراهيم موسى، البلاغة التطبيقية، مطبعة المعرفة، القاهرة، ط1، 1963م.

20. أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط1، مج1، 1998م.

21. أحمد محمود المصري، قطوف من بلاغة العرب، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، ط1، 2007م.

22. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1988م.

23. أسامة البحيري، البنية المتحولة في البلاغة العربية، العلم و الإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1430هـ- 2009م.

24. امرئ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مج1، ط4، 1984م.

25. باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626هـ)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014م.

26. البحتري، الديوان، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، مج5، ط3.

27. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، ط4، 2015م.

28. بنعيسى أزابيط، مدخلات لسانية: مناهج ونماذج، سلسلة دراسات وأبحاث، مكناس، المغرب، ط2، 2008م.

29. الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1, ط4, 1975م.

30. الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب–أحمد بن محمد بن يعقوب الولاي–

31. جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984.

32. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة، ص586. وينظر، قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

33. الخطيب القزويني، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تع: الشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ج3 ،1950 م.

34. دلخوش جار الله، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دراسة دلالية، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2008م.

35. رشيد يحياوي، التبالغ والتبالغية نحو نظرية تواصلية في التراث، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2014م.

36. ريمون طحان، دينز بيطار طحان، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط1، 1983م.

37. زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية.

38. زكرياء محمد الأنصاري، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991م.

39. الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1998م

40. سامي محمد عبابنة، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، نقلا عن ديفيد ريتشس، مناهج النقد الأدبي، تر، محمد يوسف نجم، مراجعة إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1967م.

41. سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت، ط1، 1991م.

42. صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د، ط)، 2007م.

43. صلاح الدين عند التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار بونار للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1995م.

44. عادل الفاخوري، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985م.

45. عبد السلام المسدي، اللّسانيات وأسسها المعرفية، المطبعة العربية، تونس، ط1، 1986م .

46. عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1 ,1413هـ-1993م.

47. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دار الكتب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1411هـ-1991م.

48. عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، مج1، 2002م.

49. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر الخانجي، القاهرة، ط 5، 1424هـ - 1998م.

50. عبد الله بن المعتز، البديع، نشر وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط1402،3هـ-1982م.

51. عبد المنعم السيد الشحات رزق، المسائل البلاغية بين ميثم البحراني وابن سنان الخفاجي، قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية بالمنصورة الدراسات العليا، جامعة الأزهر، 2000م.

52. عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.

53. علي محمد الحسن العماري، قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ-1999م.

54. علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية و معجم سياقي)، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2010م.

55. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.

56. عمرو بن معدي كرب الزبيدي، الديوان، تحقيق مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، مج1، ط2، 1405هـ-1985م .

57. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علوم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1943م.

58. الغزالي، معيار العلم في المنطق، دار المعارف، تح: سليمان دنيا، مصر،1969 م.

59. ف، بالمر؛ علم الدلالة إطار جديد، دار المعرفة الجامعية، تر:صبري ابراهيم السيد، اسكندرية، 1995 م.

60. فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار العلم للملايين ،بيروت، ط1، 1985م.

61. الفرابي، إحصاء العلوم، دار الفكر العربي، تح و تع و تق: عثمان أمين، القاهرة، ط2، 1949م.

62. الفرابي، العبارة (كتاب في المنطق)، الهيئة المصرية للكتاب العرب، تح: محمد سليم، 1976م.

63. الفرابي، كتاب الحروف، دار المشرق، تح، تع، تق: محسن مهدي، بيروت،1970م.

64. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ط1، 1986م.

65. المتنبي، الديوان، ج3، ضبطه وصححه مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، (د–ط)، (د–ت).

66. محمد أحمد أبو بكر أبو عامود، البلاغة و الأسلوبية تصوير الموت في القرآن الكريم –نموذجا–، تقديم: عبد الرحيم محمود زلط، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م.

67. محمد ادريس الشافعي، الرسالة، تح و شر: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، لبنان، (د–ت).

68. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق للنشر، المغرب، ط2، مج1، 2010م.

69. محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب النقدي والبلاغي، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999م.

70. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1997م.

71. محمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1369هـ،1950م.

72. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، مج 4 ،(د.ط)، (د.ت).

73. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م.

74. منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، دمشق، 2000 م.

75. منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

76. النكت للرماني في إعجاز القرآن، دار المعارف، تحقيق: محمد خلف الله زغلول سلام، مصر، ط3، ج1، 1976م.

77. نور الهدى حسني، البلاغة و الأسلوبية اللغوية (دراسة في سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، عالم الكتب الحديثة. إربد، الأردن، ط1، 2018م.

78. يحي بن حمزة العلوي، الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، مج1، 1980م.

رابعا: الرسائل الجامعية:

79. عبد السلام إسماعيلي علوي، التجاوز الدلالي والتواصل (متابعة تداولية لتفاعل الإنتاج و التأويل)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الآداب و اللغة العربية، كلية، الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس، (1423-1424هـ)، (2002-2003م).

الملحق

ابن سنان الخفاجي: حياته وآثاره:

1. مولده ونسبه:

هو "عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الشاعر الأديب البليغ الشيعي الحلبي"[1]، ولد سنة (423هـ.1032م.)[2] ، بقلعة عزاز من أعمال حلب، لم يعرف تاريخ ميلاده إلاّ من خلال قصيدة نظمها في ديوانه سنة (423هـ) وفيها هذا أن البيتين:[3]

وقورا إذا طرقتني الخطوب وحل من الخوف عقد النهى

بعشرين أنفقتها في الصدود وجدت بها في زمان النوى

ومن خلال هذين البيتين وتاريخ نظم هذه القصيدة التي نظمها وهو صاحب العشرين عاما نستنتج أنه ولد عام (423هـ).

وقد عاش ابن سنان الخفاجي صباه مفتقرا للحنان ورعاية الوالدين فقد توفى والديه وهو صغير، فكفله أحد أقاربه إلى أن شب عظمه[4]، كان ابن سنان يتميز بالعلم وحفظه للقرآن الكريم وذكائه وفطنته لأنه " نشأ في بيت علم وشرف، كما عرفت أسرته بالعلم والأدب" ولأن أسرة ابن سنان كانت من أشراف حلب فقد نشأ في أسرة ميسورة الحال مما

---

1 محمد مصطفى المراغي، **تاريخ علوم البلاغة**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1369هـ،1950م، ص98.

2 منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص179.

3 ابن سنان الخفاجي، **الديوان**، تح: مختار الأحمدي نويوات، نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (دط)، 2007م، ص16.

جعله ينصرف في سن مبكرة إلى طلب العلم حيث تجول في أسرار اللغة وغرف من الشعر والأدب والتاريخ إلى برع فيهما[1] وقد قصد كغيره من شباب عصره وتتلمذ على يد أستاذه أبو العلاء المعري وبعد أن أتم دراسته وتلقيه للعلوم " ولي على قلعة عزاز وهي من أعمال حلب..."[2] بعد أن زكاه "أبو نصر محمد النحاس" الذي كان وزيرا أنذاك عند أمير حلب.

2. **شيوخه:**

أخذ ابن سنان الأدب والعلم وتتلمذ على يد أبي العلاء المعري، وقد أصبح بذلك في عدة مواضع من كتابه مثلا في قوله: "وجرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبو العلاء"[3]، وقوله كذلك: "وكذلك قول شيخنا أبي العلاء ابن سليمان" [(4)]، ولم يذكر لابن سنان شيوخ آخرون غير المعري، لكن من قراءتنا لكتاب سر الفصاحة اكتشفنا له تأثر بعدة كتب وتأثر بمؤلفيها:

- البيان والتبيين للجاحظ (ت225هـ).

- نقد الشعر لقدامة ابن جعفر (ت275هـ).

1 ينظر، ابن سنان الخفاجي، **الديوان**، ص18.

2 صلاح الدين الصفدي، **فوات الوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (دط)، 2000م، ج17، ص272.

3 ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص71.

4 **المصدر نفسه**، ص90.

- الموازنة للآمدي (ت381هـ)

3. آثاره العلمية:

خلف ابن سنان الكثير من الكتب القيمة نذكر منها:

1. حكم منشورة.
2. ديوان يضم مجموعة من أشعاره.
3. كتاب سر الفصاحة التي يعتبر أهم كتاب وصل إلينا وأبرز ما ألف ابن سنان.

بالإضافة إلى كتب مجموعة من الكتب التي لم تصل إلينا إلا أنها ذكرت في ديوانه:

1. كتاب الصرفة[1].
2. كتاب عبارة المتكلمين في أصول الدين.
3. العادل في الإمامة[2] .
4. كتاب العروض.
5. كتاب في رؤية الهلال.

4. وفاته:

بعد العصيان الذي أعلنه ابن سنان الخفاجي على أمير حلب، أمر أمير حلب الوزير النحاس الذي كان صديقا لابن سنان بقتل ابن سنان، ففرض النحاس أن يكون سببا في

1 أبو عبد الله ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ج1، ص415.
2 ابن سنان الخفاجي، **الديوان**، ص25.

قتل ابن سنان لكن الأمير هدده إن لم يقتل ابن سنان فإنه سيقتله، فدس له لنحاس السم في الأكل[1] فتوفى مسموما على إثرها عام ستة وستين وأربعمائة (466هـ)[2].

كتاب سر الفصاحة:

كتاب سر الفصاحة من أهم ما ألف ابن سنان في البلاغة ويعتبر الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من كتب ابن سنان، وللكتاب مكانة لا تجحد ضمن كتب البلاغة فهو من أبرز الكتب التي ألفت في هذا المجال، وقد جاء اسم الكتاب حاملا لمضمونهن حيث عالج فيه ابن سنان ماهية الفصاحة وشروطها بالإضافة إلى مفاهيم لسانية أخرى.

1) دوافع التأليف:

يقول ابن سنان في مقدمة كتابه: "اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرها، فمن الواجب أن نبين ثمرة ذلك وفائدته، لتقع الرغبة فيه"[3]، ويقول في موضع آخر "فإني لما رأيت الناس مختلفين في ماهية الفصاحة وحقيقتها أودعت كتابي هذا طرفا من شأنها، وجملة من بيانها، وقربت ذلك على الناظر، وأوضحته للمتأمل"[4] ومن خلال هذا نجد أن الدافع وراء تأليف كتاب سر الفصاحة هو معرفة حقيقة الفصاحة

1 ينظر، ابن سنان الخفاجي، **الديوان** ، ص61_65

2 صلاح الدين الصفدي، **فوات الوفيات**، ج1، ص493.

3 ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص13.

4 **المصدر نفسه**، ص13.

والعلم بسرها وشروطها حيث يعتبر من أمات الكتب في هذا المجال وأهم ما ألف في كتب البلاغة العربية.

2) منهج ابن سنان في الكتاب:

اتبع ابن سنان منهجا واضحا ودقيقا وسهلا في طرحه للمادة العلمية، حيث كان أسلوبه لا طويلا مملا ولا قصيرا مخلا، بل كان وسطا بين الإسهاب والاختصار[1]، حيث بدأ كتابه بباب تكلم فيه عن الأصوات وسبب حدوثها، ثم انتقل إلى الحديث عن الحروف ومخارجها وعددها ثم بعد ذلك أفرد فصلا كاملا تحدث فيه عن الكلام وأنواعه المهمل والمستعمل، ولم ينسى ابن سنان أن يتحدث عن اللغة والميزات التي تتميز بها اللغة العربية عن سائر اللغات فأفرد فصلا عن ذلك، ثم انتقل بعد ذلك إلى زبدة الكتاب والحديث عن الفصاحة وشروطها متناولا كل هذا بالشرح و التعليل والاستشهاد متبعا أسلوب الناقد الأديب البارع؛ ونستكشف من خلال منهج ابن سنان الخفاجي مجموعة من الخصائص التي تميز بها منهجه نذكر منها:

– اعتمد ابن سنان الخفاجي في كتابه المنهج "الوصفي التحليلي"[2] وقد صرح بذلك قائلا: "ثم نبين هذا كله وأشباهه ماهية الفصاحة، ولا نخلي ذلك الفصل من شعر فصيحوكلام

1 ينظر، ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص39.

2 أبو عبد الله ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ج1، ص320.

غريب بليغ، يتدرب متأمله على فهم مرادنا، فإن الأمثلة توضح وتكشف، وتخرج من اللبس إلى البيان ومن جانب الإبهام إلى الإفصاح"[1].

– كان ابن سنان كثير الاستشهاد بالشعر أكثر من النثر والقرآن الكريم وقد برر اعتماده على المنظوم دون المنثور حين قال: " فأما اقتصاري في أكثر ما أمثل به على المنظوم دون المنثور، مع أن كلامي عليهما واحدا، فإنما أقصد ذلك لكثرة المنظوم وإشهاره ورغبتي في أن يسهل عليك حفظ ما أذكره فإنه داع قوي وسبب وكيد"[2].

– اتسم أسلوب ابن سنان الخفاجي في كتابه بالأمانة العلمية؛ حيث كان ينسب الأقوال والأشعار إلى أصحابها ومثال ذلك في قوله: "... وقد وجدت أبا طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي ينصر في كتابه الموسوم بالبرهان في شرح الإيضاح ما يذهب إليه النحويين في هذه المسألة..."[3].

وفي موضع آخر يقول: "وقد أنكر أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب ما ذكرناه من قبح وتكرر حروف الرباطات وقال في كتابه في الخراج وصناعة الكتابة..."[4].

– اعتمد ابن سنان في طرحه لمادته العلمية أسلوب الحوار والمناقشة والإجابةعليها.

3) مباحثه:

1 ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص14،15.
2 **المصدر نفسه**، ص77.
3 **المصدر نفسه**، ص34.
4 **المصدر نفسه**، ص105.

جاءت فصول كتاب سر الفصاحة مرتبة ترتيبا منطقيا حيث انتقل فيها ابن سنان من الجزء إلى الكل ما يتماشى مع قدرة المتعلم والدارس على الفهم والاستيعاب حيث جاءت الفصول على الترتيب التالي:

1- فصل في الأصوات.

2- فصل في الحروف.

3- فصل في الكلام.

4- فصل في اللغة.

5[1]-الكلام في الفصاحة.

6- الكلام في الألفاظ المفردة.

7- الكلام في المعاني المفردة.

8- فصل في ذكر الأقوال الفاسدة في نقد الكلام.

9- فصل في ذكر الفرق بين المنظوم والمنثور وما يقال في تفضيل أحدهما عن الآخر.

10- فصل فيما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته.

الفهرس التحليلي

الفهرس التحليلي

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ–و
مدخل: ضبط مصطلحيّ البلاغة العربية واللسانيات التداولية	08–24
أولا: البلاغة العربية	08–11
ثانيا: قضية اللفظ والمعنى في البلاغة العربية	12–17
ثالثا: اللسانيات التداولية	18–24
الفصل الأول: الدلالة والمعنى في التراث البلاغي	26–50
المبحث الأول: ماهية الدلالة والبيان في البلاغة العربية	26–38
أولا: الدلالة في البلاغة العربية	27–30
ثانيا: إضاءات حول مفهوم البيان في البيئة العربية القديمة	31–38
المبحث الثاني: كيف تناول البلاغيون العرب المفاهيم الدلالية	39–47
المبحث الثالث: علم البيان عند ابن سنان الخفاجي	48–50

الفصل الثاني: مظاهر التجاوز الدلالي والتّداولي في قضايا البيان " سر الفصاحة "	116-52
المبحث الأول: تداولية الحقيقة والمجاز في سر الفصاحة	62-52
المبحث الثاني: تداولية التشبيه عند ابن سنان الخفاجي	77-63
المبحث الثالث: تداولية الاستعارة عند ابن سنان الخفاجي	98-78
المبحث الرابع: تداولية الكناية عند ابن سنان الخفاجي	116-99
الخاتمة	122-118
قائمة المصادر والمراجع	134-124
الملحق	142-136
الفهرس التحليلي	145-144

تعد البلاغة العربية مصدرًا مهمًا في تراثنا العربي يعالج قضايا الدرس اللغوي في ثنايا اهتمامه بوضوعاته (معاني، وبيان، وبديع)، فهي تعنى في سبيل ذلك بجملة من العناصر؛ نعدّها اليوم من صميم البحث اللغوي المعاصر نحو اهتمامها باللغة وصحتها، والألفاظ وسلامتها من العيوب (مقاييس الفصاحة)، ولعلى ما يقابلها اليوم في الدرس اللغوي الحديث (اللّسانيات التّداولية) التي تدرس اللغة من حيث الاستعمال؛ ومن هنا جاءت تسميتها "بعلم الاستعمال اللغوي"، الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وكيفية استخدام العلاقات ضمن سياقات و مقامات مختلفة.

وتأتي هذه الدراسة لإثبات الأبعاد والجوانب التّداولية في البلاغة العربية، وهذا هو الهدف الأساسي في هذا البحث، وذلك في محاولة لتقريب هذا المنهج الغربي الحديث من موروثنا العربي القديم، واستثمار ما في هذا المنهج التّداولي لإعادة قراءة هذا التراث قراءة حداثية.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية، تراثنا العربي، الدرس اللغوي، اللّسانيات التّداولية، المنهج الغربي، قراءة حداثية.

Arabic rhetoric is an important source in our Arab heritage that deals with the issues of the linguistic lesson in the folds of its interest in its subjects (meanings, statement, and admiration), for it is concerned with a set of elements for that. We consider it today from the core of contemporary linguistic research to wards its interest in language and its validity, vocabulary and its integrity from defects (standards of eloquence), and for what it corresponds today in the modern linguistic lesson (pragmatic linguistics) that studies the language in terms of use; Hence its name `` linguistic usage science ", which studies the relationship of linguistic activity to its users, and how relationships are used within different contexts and denominations.

This study comes to prove the dimensions and the deliberative aspects of Arabic rhetoric, and this is the main goal of this research, in an attempt to

bring this modern Western approach closer to our ancient Arab heritage, and to invest in this deliberative approach to re-read this heritage, a modernist reading.

Key words: Arabic rhetoric, our Arab heritage, linguistic lesson, pragmatic linguistics, Western curriculum, modernist reading.